معنى الشرف والعرض

بين الأديان السماوية ودعاة التحرر



إعداد
زكى على السيد أبو غضة

أبو غضة، زكى على السيد

معنى الشرف والعرض بين الأديان

السماوية ودعاة التحرر

إعداد : زكي على السيد أبو غضة

المنصورة دار الوفاء للطباعة

والنشر والتوزيع ٢٠٠٧ ص ١٣٥، ٢٠ سم

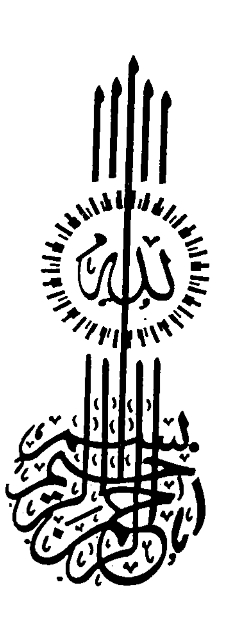
تدمك ٦ ـ ٥٥٥ـ ١٥ـ ٩٧٧

رقم الإيداع :٢٤٤٢٥/ ٢٠٠٧

I.S.B.N- 977-15-555-6

١ ـ الثقافة الإسلامية

أ ـ العنوان ٢١٤


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

نحمد الله عز وجل الذى جعل الشرف والفضيلة والعفاف من أجل أصول الإيمان ومن أسس تزكية النفس فقال جل شأنه .

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣٠ ـ ٣١] صدق الله العظيم .

تنويه

موسوعة المرأة في القرن الحادى والعشرين بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر تشمل سبعة كتب حتى الآن وهى :

١ ـ المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام .

٢ ـ المرأة بين الشريعة وقاسم أمين .

٣ ـ الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر .

٤ ـ الحجاب والختان والعفة .

٥ ـ عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر .

٦ ـ إتفاقية إزالة أشكال التميز ضد المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر .

٧ ـ مساوىء تحرر المرأة فى العصر الحديث .

وهذه الدراسة هى باب من أبواب كتاب الحجاب والختان والعفة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر .

وقد أفردناها فى كتيب خاص لأهميتها ، وحتى تتاح للقراء بسعر زهيد ، وحتى تعم الفائدة .

والله الموفق

المؤلف زكى على السيد أبو غضة

الفصل الأول

معنى ومفهوم العرض والشرف فى الأديان السماوية وعند دعاة التحرر

المبحث الأول :

معنى ومفهوم العرض والشرف فى الأديان السماوية .

المبحث الثانى :

معنى ومفهوم العرض والشرف فى الإنجيل والديانة المسيحية.

المبحث الثالث :

معنى ومفهوم العرض والشرف فى القرآن والديانة الإسلامية.

معنى ومفهوم العرض والشرف فى الأديان السماوية وعند دعاة التحرر

توطئة : الأصل أن مفهوم المحافظة على العرض والشرف وما يرتبط بهما من آداب سامية وأخلاق رفيعة وعادات قويمة، هو محافظة الأنثى على عفافها وعذريتها إن كانت عذراء وعلى فرجها إن كانت زوجة أو سبق لها الزواج وكذلك الأمر للرجل ، مع أنه لا غشاء بكارة له، فأول الفضائل الإنسانية هى حفظ النفس من التردى فى الرذيلة من زنا أو لواط أو سحاق أو غيره ، وبالتالى حفظ الأنساب.

وهذا المعنى والمفهوم نشأ من خلق آدم وحواء واستمر لليوم ، ولن يختفى غداً أو بعد غد ، وهو قائم إلى يوم القيامة ، تؤمن به كافة المجتمعات الإنسانية مهما تنوع دينها أو عقيدتها أو فكرها، ولكنه ككافة المتغيرات الأخلاقية يزيد ويتسع باتباع الأديان والتمسك بالأخلاق الفاضلة، والعادات الاجتماعية والإنسانية الموروثة لمن لا دين له يعصمه أو شريعة تحكمه ، وفى هذا الباب سنعرض لما يلى :

الفصل الأول :معنى ومفهوم العرض والشرف فى الأديان السماوية.

الفصل الثانى : معنى ومفهوم العرض والشرف لدى دعاة التحرر.

الفصل الثالث : ضرورة العودة إلى مقاييس العفة والعذرية والشرف .

معنى ومفهوم العرض والشرف فى الأديان السماوية

توطئة :

إن من الحقائق الثابتة والراسخة رسوخ الجبال الشم ، والمؤكدة حسن تنظيم الله لكونه ، والتى تسمو فوق كل ارتفاع ، وترتفع فوق كل خلق قويم ، وأدب رفيع ، اتفاق الأديان السماوية الثلاث على ضرورة المحافظة على العرض والتمسك بالشرف باعتبار ذلك أساس الفضيلة ، التى هى أصل إعمار الأرض . هذا وقد أمرت الأديان بذلك وحثت عليه ، ومنحت المطيع الثواب فى الدنيا والآخرة ، وأوجبت على المسىء الخزى فى الدنيا والعقاب « القصاص » .

وقد ساوت الأديان بين الذكر والأنثى فى ذلك بلا تفرقة .

وفى هذا الفصل سنعرض للمباحث التالية :

المبحث الأول : معنى ومفهوم العرض والشرف فى التوراة والديانة اليهودية .

المبحث الثانى : معنى ومفهوم العرض والشرف فى الإنجيل والديانة المسيحية .

المبحث الثالث : معنى ومفهوم العرض والشرف فى القرآن والديانة الإسلامية مع إيضاح ثواب المطيع وجزاء العاصى فى كل دين .

المبحث الأول

معنى ومفهوم العرض والشرف فى التوراة والديانة اليهودية

فى الواقع إن المحافظة على العرض والتمسك بالشرف كأصول ثابتة وراسخة لباقى الفضائل الإنسانية ، نشأ مع بداية خلق الإنسان الأول آدم وحواء ، وعلى ذلك فهذه الأخـلاق ليست طارئة على الإنسان بل هى منه خلقت معه ، وسما بها ، فقد جاء بالتوراة :

أن الله أعز وأكرم آدم وحواء بأن خلقهما بلا ملابس ومع ذلك فقد منع أعيـنهما من إبصـار عوراتهـما ، « وكـان كلاهما عـريانيين ، آدم وامرأته وهما لا يخجلان» [التكوين٢ : ٢٥] .

هذا ولم تكشف العورة إلا بعد المعصية « فأخذت» حواء من ثمرها الشـجرة المحـرم أكل ثمرها « وأكلت ، وأعطت رجلهـا أيضـا معـها فأكل، فـانفتحت أعينهـما وعلما أنهمـا عريانين » [التكوين: ٣: ٦، ٧] ولذلك كانت وصايا التوراة بالعفة والفضيلة متعددة.

أولاً : الأمر بعفة وعفاف النساء :

« لا يكن من بنات إسرائيل ولا من أبناء إسـرائيل زانيات ومأبونو معابد» (١) .

---

(١) مأبونو المعابد: من يتردد على المعابد للزنا بمقـابل مادى ،حيث كانت تخصص نساء =

لا تدنس ابنتك فبذلها للفجور لئلا تزنى الأرض وتمتلئ بالرزيلة» [اللاويين: ١٩:٢٩] .

وقد حذرت التوراة النساء من عرض أنفسهن لإغراء الرجال فقال النى أشعيا محذراً عاقبة ذلك : « يقول الرب : لأن بنات صهيون متغطرسات ، يمشين بأعناق مشرئبة متغزلات بعيونهن ، متخطرات فى سيرهن ، مجلجلات بخلاخيل أقدامهن (١٧) سيصيبهن الرب بالصلع ، ويعرى عوراتهن» [أشعياء٣:١٦ ـ١٧].

ومن آداب التمسك بالعرض والشرف ، عدم تشبه النساء بالرجال والعكس « يحظر على المرأة ارتداء ثياب الرجل . . . لأن كل من يفعل ذلك يصبح مكروها لدى الرب إلهكم» [التثنية ٢٢ : ٥] .

وقد اعتبرت التوراة المرأة التى تعرض نفسها على الغير جاهلة: «(١٣) المرأة الجاهلة صخابة حمقاء ولا تدرى شيئا (١٤) فتقعد عند بيتها على كرسى فى أعالى المدينة (١٥) لتنادى عابرى السبيل (١٦) من هو جاهل فليمل هنا . . . » [الأمثال ٩ : ١٣ ـ ١٦] .

كما وصفتها بالخارجة عن طاعة ربها ، المهلكة للرجال :

« (١٧) التاركة أليف صباها والناسية عهد إلهها (١٨) لأن بيتها يسوخ إلى الموت وسبلها إلى الأخيلة [١] (١٩) كل من دخل إليها لا

= لذلك ، يعتبرن أنفسهن قديسات ، وهذا نظام وثنى هدفه تمويل المعابد بالمال.

(١) يسوخ إلى الموت : يؤدى إلى الهلاك فى الدنيا والآخرة ، سُبلها إلى الأخيلة: طريقها إلى الزوال فمتعتها زائلة باطلة .

يرجع » [الأمثال : ٢] .

ووصفت التوراة المرأة الزانية فقالت :

« (٢٣) الزانية هوة عميقة ، والأجنبية حفرة ضيقة (٢٨) وهى أيضًا كلص تكمن وتزيد الغادرين بين الناس » [الأمثال:٢٣].

كما وصفت التى تزنى وتدعى أنها لم تقترف إثمًا «ذنبًا» «كذلك طريق الزانية ، أكلت ومسحت فمها وقالت : « ما عملت إثمًا» [الأمثال: ٣٠ : ٢٠] .

ووصفت التوراة الزوجة الصالحة المحافظة على عرضها وشرفها فقالت:

« (١٠) امرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلىء (١١) بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج لغنيمة (١٢) تصنع له خيرًا لا شرًا كل أيام حياتها » [الأمثال : ٣١] .

كما جاء بها أيضًا : « المرأة الفاضلة تاج لبعلها أما المخزية فكنخر فى عظامه » [الأمثال : ١٢ : ٤] وقد زكت التوراة تقوى المرأة وأعلتها عن الجمال والحسن ، فجاء بها : « الحسن غش والجمال باطل ، أما المرأة المتقية الرب فإنها تُمدح» [الأمثال ٣١ : ٣٠] .

ثانيًا : الأمر بعفة وحفظ شرف الرجال :

ترى التوراة فى تشبه الرجال بالنساء رذيلة : «يحظر على الرجال ارتداء ملابس النساء . . . لأن من يفعل ذلك يصبح مكروها لدى الرب

إلهكم» [التثنية ٢٢ : ٥] .

وجاء عن تحذير الرجال من فتنة النساء : « الزانى بامرأة هو عديم العقل ، المهلك نفسه هو يفعله » [الأمثال: ٦/ ٣٢] .

ليحفظك من المرأة الأجنبية من الغريبة الملقَة [1] بكلامها» [مثال: ٧/ ٥] .

« وإذا امرأة استقبلته فى أى زانية ، وخبيثة القلب» [الأمثال٧ : ١٠].

« فم الأجنبيين هوة عميقة ممقوت الرب « من يكرهه الله» يسقط فيها» [الأمثال ٢٢ : ١٤] .

وكذلك (٢) احفظ وصاياى لتحيا وشريعتى لحدقة عينيك (٥) لتفظك من المرأة الأجنبية من الغريبة الملقة بكلامها» [الأمثال٧/ ٢، ٥].

وقد أمرت التوراة بضبط الرجل لجماح نفسه الأمارة بالسوء فجاء بها:

« مدينة منهدمة بلا سور الرجل الذى ليس له سلطان على روحه» [الأمثال : ٢٥ ـ ٢٨] .

جزاء المفرط فى عرضه وشرفه :

ساوت التوراة فى عقاب الزناة بين الرجال والنساء وشددت عقاب الرجل المغتصب أى الذى يكره المرأة على الزنا فجاء بها.

---

(١) الملقة بكلامها : التى تغرى وتغوى بمعسول الكلام .

« إذا ضبطتم رجلاً مضطجعًا مع امرأة متزوجة تقتلونهما كليهما فتنزعون الشر من وسطكم » [1] [التثنية ٢٢ : ٢٢] .

ومعنى ذلك عدم اعتراف التوراة بحق الزنا بالتراضى لأطرافه .

الزنى بامرأة مخطوبة لآخر :

« (٢٣) وإذا التقى رجل بفتاة مخطوبة لرجل آخر فى المدينة وضاجعها (٢٤) فأخرجوهما كليهما إلى ساحة بوابة تلك المدينة ، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا ، لأن الفتاة لم تستغث وهى فى المدينة، والرجل لأنه اعتدى على خطيبة الرجل الآخر ، فتستأصلون الشر من وسطكم » [التثنية ٢٢ : ٢٣ ـ ٢٤] .

الزنى بالأمة المخطوبة :

« إذا اضطجع رجل مع امرأة اضطجاع زرع وهى أمة مخطوبة لرجل ، ولم تفد فداء ولا أعطيت حريتها ، فليكن تأديب ، لا يقتلا لأنها لم تعتق » [اللاووين ١٩ : ٢٠] .

أما عقاب المغتصب :

« ولكن إذا وجد الرجل الفتاة المخطوبة فى الحقل فأمسكها الرجل واضطجع معها يموت الرجل الذى اضطجع معها وحده ، وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئًا» [التثنية ٢٢ : ٢٥ ، ٢٦] .

---

(١) مضطجع أى يزنى زنا كاملاً ، والتوراة لم تفرق بين الزانى والزانية المحصنين عن غيرهم.

وقد أوضحت التوراة عدم بركـة أولاد الزنا فجاء بها : « أما أولاد الزنا فلا يبلغون أشدهم وذرية المضجع الأثيم تنقرض» [الحكمة٣:١٦].

« والمولودون من المضـجع الأثيم يشـهدون بفـاحشـة والديهم عند استنطاق حالهم » [الحكمة ٤ : ٦] .

وهكذا يتبين لنا أن التـوراة أمرت الرجال والنساء بالعـفة والمحافظة على الشرف وأوجبت عقابًا للمفرط فـيهما خاصا قد يصل إلى الموت ، ولم تعترف بالزنى بالتراضى وحرية الرجل أو المرأة فى جسده.

المبحث الثانى

معنى ومفهوم العرض والشرف فى الإنجيل والديانة المسيحية

لا يختلف هذا المفهوم عن التوراة ، فالمسيحية دين يدعو إلى الأخلاق الكريمة ، لدرجة أن بعض أحكامه بلغت من الدعوة للروحانية حدًا صَعِبَ على المسيحيين اتباعها . كأحكام النظرة لشهوة الطلاق ، والزواج الثانى والثالث للأرملة وغير ذلك ، فجاء بالإنجيل «(٢٧) وسمعتم أنه قيل : لا تزن ! (٢٨) أما أنا فأقول لكم كل من ينظر إلى امرأة بقصد أن يشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه ! فإن كانت عينك اليمنى فخانتك ، فاقلعها وارمها ، فخير لك أن تفقد عضوا من أعضائك ولا يطرح جسدك كله فى جهنم » [متى ٥ : ٢٧ ، ٢٨] .

« من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها قلبه» [متى ٥ :٢٨].

والفقرات السابقة توضح الأمر للرجال بحفظ وغض البصر، لأنه أول أسباب التمسك بالعفة والشرف .

وكانت وصايا الإنجيل والرُسل للنساء بالحشمة والوقار والتمسك بالفضيلة متعددة منها وصية بطرس «على المرأة ألا تعتمد الخارجية لإظهار جمالها ، بضفر الشعر التحلى بالذهب ، ولبس الثياب الفاخرة (٤) وإنما تعتمد الزينة الداخلية ، ليكون قلبها متزينا بروح الوداعة

والهـدوء ، هذه هى الزينة التى لا تفنى ، وهـى غاليـة الثـمن فى نظر الله» [١ بطرس ٣ : ٣ ـ ٦] .

وجـاء عن بولس « كمـا أريد أيضـا أن تظهر الـنساء بمظهـر لائق محشـوم اللباس ، متزينات بالحيـاء والرزانة ، غير متـحليات بالجدائل والذهب واللآلئ والحلل الغاليـة الثمن (١٠) بل بما يليق بنساء يعـترفن علنا بأنهن يعشن فى تقوى الله » [١ تيموتاوس ٢ : ٩ ـ ١١] .

هذا وقد استنكرت المسيحية أن يزاول أى مسيحى أو مسيحية ما من شأنه أن يؤدى إلى الزنى أو الزنى ذاته فقال بولس:

« (١٤) الجسد ليس للزنا بـل للرب ، والرب للجسد . . . (١٥) ألستم تعلمون أن أجـسادكم هى أعضاء المسيح ؟ أفآخـذ أعضاء المسيح وأجعلها أعـضاء زانية ؟ حاشا ! (١٦) أم لسـتم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد ؟ لأنه يـقول : « يكون الاثنا جسداً واحدا (١٧) وأما من التصق بالرب فهو روح واحد (١٨) اهربوا من الزنا . . . الذى يزنى يخطئ إلى جسده » [١ كورنثوس ٦ : ١٤ ـ ١٨] .

إذن الزنا فى المفهوم المسيحى إهانة للرب نفسه ، وهذا لا ينبغى ، كما يؤكد ذلك فيقول : « مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله » [اكورنثوس ٦ : ٢٠] .

جزاء المفرطين فى العرض والشرف والزنا :

يقول بولس الرسول فى وصاياه : « أم لستم تعلمون أن الظالمين لا

يرثون ملكوت الله »؟ لا تضلوا : لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون، ولا مأبونون ولا مضاجعوا ذكور » [اكورنثوس ٦ : ٩] .

وبالنسبة لعقاب الزناة : فهو كما جاء فى التوراة ، وإن لم يقم المسيح بإقامة الحد على زانية يوحنا الإصحاح ٨ فمرجع ذلك ليس إلغاء أو نسخ حد الزنا ، ولكن لتأكد المسيح من توبتها . وهكذا يتبين أن المسيحية اعتبرت الزنا بكافة أصنافه واللواط إهانة للرب نفسه . ولم تعترف بحق كل إنسان فى جسده يفعل به ما يشاء «أى الزنى بالتراضى» .

المبحث الثالث

معنى مفهوم العرض والشرف فى القرآن والديانة الإسلامية

لا يختلف هذا المعنى والمفهوم عما جاء بالتوراة والإنجيل ، فمسؤولية المحافظة على العرض والشرف والأمر بهما مشتركة يتساوى فيها الرجال والنساء والجزاء أيضا متساو فيها هو الحق تبارك وتعالى يأمر الجنسين بحفظ النفس من النظرة الحرام فيقول : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

هذا وقد جعل الإسلام المحافظة على العرض والعفة والشرف شرطًا من شروط الإسلام وصحة الإيمان وسببا لمغفرة الله والفوز برضاه وجنته فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

كما أوجب على النساء المحافظة على شرفهن وعفتهن وعرضهن

فقال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

يقول السيد محمد رشيد رضا فى تفسير الآية :

« قال الثورى وقتادة حافظات للغيب يحفظن فى غيبة الأزواج ما يجب حفظه من النفس والمال ، وروى ابن جرير والبيهقى من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « خير النساء التى إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها».

وقال الأستاذ الإمام ـ « يقصد جمال الدين الأفغانى » : الغيب هو ما يستحيا من إظهاره ، أى حافظات لكل ما هو خاص بأمور الزوجية الخاصة بين الزوجين ، فلا يطلع أحد منهن على شىء مما هو خاص بالزوج» (١) .

هذا وقد حذرنا الله من مجرد محاولة تجربة الحُب والغرام، بالنظرة بشهوة أو اللمس والهمس والتقبيل ودواعى ومقدمات الزنى فقال جل من قائل : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] .

عقاب الزنى بأنواعه فى الإسلام :

يقول السيد سابق رحمه الله :

« يرى كثير من الفقهاء أن تقرير عقوبة الزنا كانت متدرجة كما

---

(١) السيد محمد رشيد رضا : حقوق النساء فى الإسلام ج١ ، ص٦١ ـ هدية مجلة الأزهر لشهر جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ .

حدث فى تحريم الخمر . فكانت فى أول الأمر الإيذاء بالتوبيخ والتعنيف لقوله تعالى : ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ [النساء:١٦] ، ثم تدرج الحكم إلى الحبس فى البيوت ، يقول تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥] .

ثم استقر الأمر وجعل الله السبيل ، فجعل عقوبة الزانى البكر مائة جلدة ، ورجم الثيب حتى الموت لقول رسول الله ﷺ من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : « خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم (١) » (٢) والحديث نسخ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢] ويرى فضيلته رحمه الله أن:

١ ـ الآية الكريمة : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

(٢) فقه السنة جـ٢ ص٣٩٩ .

يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء:١٥] خاصة بالسحاق وهو إتيان المرأة للمرأة أى الاستمتاع المتبادل بين امرأتين .

٢ ـ الآية الكريمة : ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ [النساء:١٦] فهى فى اللواط « أى إتيان الذكر الذكر ، ومعنى فإن تابا أى قبل إيذائهما بإقامة الحد عليهما»[1] .

والملاحظ أن الإسلام كان أكثر عدالة من التوراة حيث فرق بين الزانى المحصن « أى الذى سبق له الزواج وإقامة حياة جنسية»، والغير محصن « الذى لم يسبق له الزواج » فالمحصن قد جرب اللذة الجنسية ويفترض أنه أكثر تحكمًا فى شهوته عن لم يجربها ، فجعل عقاب المحصن الموت وهو أشد من الجلد ، وعلى ذلك فقد اتفقت الأديان كلها على ضرورة العفة وعقاب المسىء .

(١) إننا نؤيده فى هذا باعتبار أن اللتين تدل على امرأتين ، واللذين تدل على مذكرين، كما أن من الممكن عدم إقامة الحد إذا لم يبلغ المجتمع عن الجريمة «والله أعلم».

الفصل الثانى

معنى ومفهوم العرض

والشرف عند دعاة التحرر

توطئة:

المبحث الأول :

الادعاء أن المحافظة على العرض للنساء دون الرجال ظلم.

المبحث الثانى :

الادعاء أن المحافظة على العذرية والتمسك بالعفة والطهارة لم تعد مقياسًا للأخلاق .

معنى ومفهوم العرض والشرف عند دعاة التحرر

توطئة :

يمكن القول والتأكيد أن دعـاة تحرر المرأة كلهم علمانيون لا يؤمنون بأهمية الأديان وضرورة اتباع أحكامها المنظمـة لشؤون البشر بصفة عامة والمرأة بصفـة خاصـة ، وحيث أن كافـة الأديان السمـاوية ـ كمـا سبق الإيضـاح ـ لا تدعو إلى التـحرر بالصـورة الماجنة الفاجـرة التى يريدها الدعاة للمرأة ، فإنهم تارة يتعرضون للأديان بالنقد والتجريح صراحة أو بأسلوب ملتو غير مباشر ، كأن يدعوا أن الأديان لم تعد تناسب العصر والناس ، أو بمحـاولة ذرع مفـاهيم جديدة والدعـوة إليهـا دون تعرض للأديان ، وهذا هو الأسلوب الأكـثر اتبـاعًا إذا كـان التعـرض للأديان سيضطرهم لنقد اليـهودية والمسيحية . فالمدافعون عنهـما ليسوا بالقلة أو بالضعف الذى لا يخشى عـقباه ، أما المدافعون عن الإسلام فـأصبحوا كغثاء السيل لا قيمة لهم ، ودعاة التحرر يدعون ما يلى:

المبحث الأول : أن المحافظة على العرض للنساء دون الرجال ظلم.

المبحث الثانى : أن المحافظة على العذرية والتمسك بالعفة والطهارة لم تعد مقياسًا للأخلاق .

المبحث الأول

الادعاء بأن المحافظة على العرض للنساء دون الرجال ظلم

ينتقد دعاة التحرر نظرة المجتمع القاصرة والخاطئة التى ترى أن العرض والشرف مرتبط بالمرأة دون الرجل فتقول د. نوال السعداوى:

« حق الرجل فى الحب أو خداع العذراوات ، تنهى الواحدة منهن حياتها بيدها خوفا من الفضيحة ، فالشرف هو حق الرجال ، وإذا كان هو الجانى ، والمرأة بلا شرف وإن كانت هى الضحية .

لا تكاد تخلو حياة امرأة من مأساة واحدة على الأقل ، تستسلم أغلب النساء للقضاء والقدر ، يكمن الألم فى صدورهن حتى الموت ، أو يستعجلن الموت بعود كبريت أو زجاجة سم سريع أو بطىء ... تدفع النسوة من دمهن ثمن العار ، لأن الرجل وإن اغتصب المرأة لا يصيبه العار مثلها ، فالشرف للرجل وإن خان ، ودم الرجل إن سال له ثأر وله فدية ، ولكن دم المرأة لا فدية له ولا ثأر» (١) .

وتقول د . سامية الساعاتى : « فبينما يتوقع المجتمع التقليدى أن يقوم الذكر بالأعمال والمهام والأنشطة التى تجلب «الشرف» للجماعة

---

(١) د. نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٢٣ ، ٢٥ .

. . . يحرص هذا المجتمع نفسه على تجنيب الأنثى من أن تجلب «العار» على جماعتـها القرابية بخضوعهـا ، واستجابتها لعواطفـها ، ونزعاتها الطبيعية ، وبخاصة النزعات الجنسية .

فالأنثى فى عرفهم أساس قيام إغراءات الشيطان وإغوائه التى تجلب الدمار ليس لها وحدها ، ولكن للجماعة القرابية ككل .

إذ بينما تحتل الأنثى مكانة ثانوية ، بل وهامشـية بالنسبـة للذكر، فيمـا يتعلق بنظرة المجتـمع للجنسين ، والتفضيل بـينهما ، فإن سُـمعة الجـماعـة القـرابية يتـوقف على سلوك الأنثـى ومراعـاتهـا للمبـادىء الأخلاقية، أكثر ممـا يتوقف على سلوك الذكر . . فالأنثى هى « عرض الجماعة فالعرض مرتبط بـسلوك الأنثى ، وخاصه سلوكها الجنسى بينما الشرف مرتبط بالقيم الذكورية وبسلوك الذكر وإنجازاته .

وقد يفقد الذكـر « شرفه » نتيجة لسلوكه غيـر السوى ، ثم يسترد ذلك الشـرف ومعـه مكانته فى المجـتمع ، إذا حـسن سيـرته . . . أى الشرف يمكن استـرداده . . . وليس الأمر كذلك فيمـا يتعلق بالعرض، فهـو قابل للضيـاع ، غير قـابل للاسترداد . . . فـمن أجل ذلك كانت تنشئـة الأنثى منذ الصغر ، تهـتم بإعدادها للزواج لأنه الوسيلة الفـعالة والمأمـونة للمـحـافظة على عـرضـهـا وعرض العـائلة ووقـايتـهـا من الانحراف . . »[1].

---

(١) د. سامية الساعاتى : علم اجتماع المرأة ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

ومما لا شك فيه أن هذه نظرة اجتماعية وليست حقيقة دينية فكافة الأديان السماوية ـ كما سبق الإيضاح ـ ساوت بين الجنسين فى الأمر بحماية العرض والتمسك بالعفة والشرف ، كما تساوى الجنسان فى العقاب والقصاص للتفريط فى العرض والبعد عن آداب العفة وأصول الشرف.

ومرجع تلك النظرة الاجتماعية لأسباب عدة :

١ ـ البعد عن تعاليم الأديان السماوية ، وعدم تنفيذ أحكامها، وهذا يبدو جليا فى المملكة العربية السعودية التى ما زالت تطبق الحدود للزنا وتقيمها على المرأة والرجل سواء بسواء وبعدالة ، ومن ثم فما زال هناك مفهوم بالعرض والعفة يشمل الرجال والنساء بلا تفرقة .

٢ ـ الإيمان الاجتماعى أن المرأة لابد وأن تكون طرفًا مشاركًا فى الزنا خاصة إذا كان بالتراضى ، سواء غرر بها أو سعت هى إليه، وأنها تستطيع بما أوتيت من تحذيرات وتعاليم منذ نعومة الأظافر أن تتغلب على شهوتها ، وتدافع عن شرفها ، ولا تنساق وراء معسول الكلام ، براق الوعود فهما الطريق إلى ضياع العرض .

٣ ـ أثبتت التجربة وأوضح الواقع أن الآثار التى تعانى منها المرأة نتيجة للتفريط فى عرضها يفوق ما يعانيه الرجل من ذلك، والواقع أنه لا توجد نسبة بين الأمرين .

فالمرأة إن كانت عذراء فضحت نفسها وفرطت فى بكارتها ، بهتك

هذا الغشاء الذى لم يخلقه الله سُدى ، وإنما الحكمة هى ضرورة المحافظة عليه ولا يفض إلا بحقه.

كما قد يؤدى زنا المرأة بكرًا كانت أو ثيبًا لمشاكل الحمل والإجهاض أو الولادة وإلقاء ثمرة العلاقة المحرمة فى مهب الريح فى الطرقات أو على أبواب المساجد .

٣ ـ بالرغم من مشاركة الرجل للمرأة فى الزنا إلا أنه يتهرب من الزواج بها لاهتزاز الثقة بها ، حيث يترسب فى فكره ويتملك وجدانه أنها كما فرطت فى نفسها معه يمكن أن تكرر ذلك مع آخرين .

٤ ـ لا ينظر المجتمع للرجل كثير العلاقات الجنسية غير المشروعة بنفس نظرته للمرأه، فالرجل فى نظر المجتمع ـ لا الدين ـ كامل الرجولة فعلاً ، أما المرأة فهى عاهرة .

٥ ـ الواقع أن الأنثى هى التى تجرِّئ الرجل على التودد إليها ، فهى تغويه وتغريه ووسائلها فى ذلك متعددة من إغراء العيون الساحرة حتى الكعوب الدائرة ، ومن الصوت الرخيم المائع حتى موسيقى الخلاخيل وأنغام الكعوب والأحذية » على الأرض ، ومعلوم أن المرأة لو اشتهت رجلاً فلن يفلت منها أبداً ، أما الرجل فليس كل ما يشتهيه يناله ، فمسؤولية المرأة عن التفريط فى عرضها وشرفها تفوق الرجل بكثير.

وعلى كل حال فإن الأضعف الذى يعلم ضعفه يجب أن يتسلح بكل ما يستطيع الدفاع به عن عرضه .

ولذلك فتربية البنت على الفضيلة هى محور اهتمام كل الأسر السوية، فتفريط البنت أو المرأة فى شرفها هو داء يصيب كل أفراد أسرتها وأسرة والدتها بل يتعدى ضرره للجيران ، لأنه دليل على أن الأسرة لم تستطع أن تحسن تربية بناتها على الفضيلة وحسن الخلق.

وتقول د. سامية الساعاتى كيفية إعداد الفتاة اجتماعيا للمحافظة على عرضها :

العرض والمحافظة على الشرف فى المعتقد الشعبى :

« إن قيمة العرض والمحافظة على الشرف هى التى تتحكم فى كثير من أساليب سلوك الناس وعادتهم المتبعة فى معاملة الأنثى منذ طفولتها المبكرة ، وفى جميع مراحل تنشتها الاجتماعية.

فهذه القيمة هى المسؤولة مثلا عن عادات تخويف الأنثى من القفز واللعب العنيف ، حتى لا يتمزق عشاء بكارتها . . . وتفهم البنت الصغيرة تفهيمًا جيدًا ، أنها لو كبرت . . . واكتشفوا ليلة «دخلتها» على عريسها ، أن غشاء بكارتها قد مزق فإنهم سيقتلونها . . وفى هذا من غير شك ضبط كبير لسلوكها فى أثناء اللعب .

كذلك نجد أن قيمة العرض هى التى تدفع الأهالى إلى فصل الأنثى عن الذكر منذ سن مبكرة فى اللعب وفى النوم ، كما تدفعهم أيضا إلى تحذيرها من الاختلاط بالذكور فهم يؤمنون بالمثل القائل : « إيش أحر النسا ، قال بعد الرجال عنهم» وهم أيضا يخوفون الأنثى من الخلوة

بالذكر لأن الخلوة به تزيد من احتمال ضعفها أمامه وتفريطها فى عرضها. وهذا أمر إذا حدث « قتلوها» ، أو « ضربوها بالنار» وتتشرب الفتيات هذه الأفكار تشربًا لدرجة أنها تتناولها بالحديث مع رفيقاتها فى أثناء اللعب والسمر . . فيتبادلن التحذير والنصح بخصوص هذا الأمر.

والحب قبل الزواج يعد أمر مستهجنًا ومذمومًا ، وهى تؤدى إقيام المشاكل بين الأسر ، وإلى وصم الفتاة برذيلة « العشق » التى لا تجر إلا إلى الشر والوبال . . . وتفكك أوصال العلاقات بين الأسر.

فالعشق قبل الزواج فى المعتقد الشعبى لا يؤدى إلى السعادة بل كثيراً ما يلهب الغريزة الجنسية عند الشباب فيفقدون سيطرتهم على أنفسهم.

إن قيمة العرض فى المعتقد الشعبى هو المحور الذى يرتكز عليه شرف الأسرة أو العائلة بأكملها ، وبخاصة رجالها . . . ولذلك كثيرا ما نسمعهم . . يوجهون للإناث وأولياء أمورهن أدعية معينة تدور كلها حول ستر العرض . . إذا يقولون للفتاة : « الله يستر عرضك » ويقولون للرجل : « الله يستر ولاياك» . أو « الله لا يفضح لك عرض» أو « الله لا يفضح لك ولية» (١) .

وياليتنا نؤمن بهذه المعتقدات ونعود إلى التمسك بها فقد كانت هى أساس حماية النساء من عبث الرجال وأغلبها أساسه هو تعاليم الدين .

---

(١) د . سامية الساعاتى ، علم اجتماع المرأة ص٢٢٥ .

المبحث الثانى

الادعاء بأن المحافظة على العذرية والتمسك بالعفة والطهارة لم تعد مقياسا للأخلاق الرفيعة

إن الهدف الرئيسى لدعاة تحرر المرأة هو العمل الدؤوب المستمر المنظم، لتعرية المرأة من ملابسها باسم الموضة والتحرر، ثم من شرفها وعفتها وطهارتها باسم حرية المرأة فى جسدها ، وأثناء تحقيق ذلك يتم فصل المرأة عن دينها وعن خلقها ، فتصبح النساء كالحيوانات ـ نأسف للتعبير ولا نتمنى تحققه ـ المتدنية التى تسمح لكل راغب فى إتيانها، حتى لو كان فى عرض الشارع .

وتقول د. نوال السعداوى داعية إلى تخلى النساء عن عفتهن وشرفهن وكرامتهن : « وقد سقطت قيمة العذرية كمقياس للأخلاق فى معظم بلاد العالم شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا ، لأن الأخلاق الصحيحة تتعلق بسلوك الإنسان اليومى فى العمل والبيت والشارع والمجتمع، إنها تتعلق بالصدق والشجاعة وعدم النفاق ، تتعلق بالأمانة وعدم السرقة.. إلخ . ولا يمكن أن تتعلق القيم الأخلاقية بصفات تشريحية أو بيولوجية يولد بها البشر أو لا يولدون بها.

بعض الناس يتخوفون من سقوط قيمة العذرة كمقياس لأخلاق البنت قبل الزواج . لكن اتضح لنا أن هذه القيمة ليست مقياسًا بأى

حال من الأحوال ويمكن التحايل عليها بسهولة .

إن الأخلاق القوية للبنات والأولاد تربط بالتربية السليمة منذ الطفولة: بالإحساس بالحرية والعدل والثقة بالنفس . إننا نولد ونعيش طفولة خائفة مذعورة مكبوتة أساسها الكذب وإخفاء الحقائق، والإيمان بقيم سطحية مثل العذرية ، واحتقار اسم الأم وتمجيد اسم الأب واعتباره الاسم الوحيد الذى يعطى للطفل الشرعية والشرف» (١) .

أليست هذه من علامات الساعة ، « العذرية قيمة سطحية» كما تدعى د. نوال ، ولم تعد مقياسًا لطهارة البنت قبل الزواج !! وأصبحت الأخلاق الصحيحة من صدق وأمانة وتعامل يومى هى مقياس صحة سلوك الإنسان !! إن الله حين خلق النساء بغشاء بكارة وربما لا يوجد عند الحيوانات مثله لم يخلقه عبثًا، ولكن خلقه كأمانة عظمى يجب على الفتاة حفظها حتى تؤدى إلى زوجها كما أمر الله ، إنه خاتم عزة وكرامة وشرف وعفة اختص به الله البنات وأعزهن به، وجعل فى فضه حلالاً ليلة العمر . والإسلام لم يأمر بالتحايل الجنسى ومباشرة العلاقات الجنسية ثم رتق هذا الغشاء وتسترد قائلة:

« وقد آن الأوان لمناقشة هذه القيمة الأخلاقية من أساسها ؛ لأن دم العذرية ليس مقياسًا للأخلاق أو الشرف فى معظم الحالات ، والأفضل للمجتمع أن يصلح مفهوم الأخلاق عن أن يصلح أغشية البنات بالمشرط الجراحى.

---

(١) د . نوال السعداوى : قضايا المرأة ص٢١٠ .

وقد أوضحت حقائق الطب أن ثلاثين فى المائة من البنات يولدن طبيعيًا بدون غشاء أو بغشاء مطاط لا ينزف قطرة دم واحدة ليلة الزفاف، وقد اشتغلت طبيبة فى الأرياف وعرفت كيف تدربت الدايات على تزييف دم العذرية بشتى الوسائل ، تتفوق الدايات المدربات فى هذا المجال على مشرط الجراح الذى يفشل فى معظم الحالات ، بل قد يسبب الضرر للفتاة أو زوجها فى المستقبل .

فلماذا إذن يتمسك المجتمع بهذا المقياس الواهى والسطحى للأخلاق والشرف ؟! هل لأنه يعفى الرجال من المسئولية الأخلاقية ذاتها التى يطالب بها البنات ؟! وهل يمكن اعتبار الرجل غير مسئول عن سلوكه الجنسى لمجرد أنه ولد بدون غشاء ؟» (١) .

ونحن نقول :

ليس دم العذرية هو مقياس الشرف فى الحالات التى ذكرتها الدكتورة نوال فالغشاء المطاط أو الولادة بدون غشاء أمر يمكن لطبيب عادل أن يوضحه والفتاة تعتبر رغم عدم نزول الدم عذراء، وكل المجتمع يعلم هذه الحالات الخاصة .

أما بالنسبة للمسؤولية عن السلوك الجنسى فإن الرجل والمرأة يتساويان فيها أمام الله ، فإن زنيا برضا نالا العقاب بالتساوى وهو الرجم أو الجلد حسب الأحوال ، أما فى حالة الاغتصاب فإن الرجل

---

(١) د . نوال السعداوى : قضايا المرأة ص٢٠٩ .

هو الذى يجلد وليست المرأة (١) .

إن تساؤل د . نوال الذى يبدو وكأنه فى براءة هو دعوة للفجور العلنى فكيف تدعى أن المحافظة على العذرية مقياس واه سطحى؟! إن الله عندما وصف فضليات النساء وصفهن « المحصنات » فجعل حفاظ المرأة على فرجها وعدم استباحته لكل غاد أو رائح ، سواء عذراء أو غير عذراء هو محافظة على حصن إذا نال منه الغير كانت الهزيمة النفسية والخلقية والدينية ، وعندما مَجدَ السيدة العذراء مريم قال: ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[التحريم:١٢] ، إن مولد الرجل بلا غشاء بكارة لا يعفيه من المسؤولية عن سلوكه الجنسى اجتماعيًا وإنسانيًا ودينيا ولكننا بعدنا عن أحكام الدين ، فترديناً من حفرة مهلكة إلى أخرى أكبر عمقا وأشد تهلكة.

وها هى فريدة النقاش ترى أن محافظة المرأة على عفتها وفضيلتها ورعاية أسرتها هى قمع للذات فتقول :

« لا تبدأ المرأة مشوار تحررها من موقع ثانوى دائمًا فحسب ، لأن عوامل اجتماعية ـ اقتصادية ـ ثقافية وسيكولوجية تؤدى بها إلى ذلك ، وإنما لأنها تنهض فى كثير من الأحيان بمهمة قمع نفسها ، فإذا كان المجتمع الطبقى الأبوى يحيل مهمة ضبط النساء إلى الأسرة، فإن المرأة تتولى بنفسها مصادرة نفسها ، وقمع الذات هو واحد من أقسى وأشد أنواع القمع الثقافى والروحى ، الذى هو رافد من روافد الثقافات المعوقة شأنها شأن الأيدلوجيات الذكورية ، ويرتبط قمع الذات بمفهوم

---

(١) سنتكلم عن ذلك بإسهاب عند الكلام عن الاغتصاب .

سائد يخص علاقة المرأة بأسرتها وبالمجتمع ككل ، هذا المفهوم هو التضحية بالنفس من أجل الجماعة الصغيرة ليكبر الأولاد ويرضى الزوج، ومن أجل الجماعة الكبيرة حتى تحافظ على تماسكها وصورتها»[١] .

واننا لنود أن يلاحظ القارئ أن الكاتبة لم تنتقد وتهجو مفهوم الشرف مباشرة كما فعلت د. نوال السعداوى ولكنها غلفت فكرها بغلاف لامع يأخذ الأبصار حتى يُصرف عن المعنى الحقيقى الذى تريده، فهى تقول « مهمة قمع النفس » ، وتدعى أنها تنشأ عن ضغوط من المجتمع الأبوى الطبقى [٢] .

إن الكاتبة ترى فى تحكم المرأة فى عواطفها وجسدها ومحاولة تمسكها بالفضيلة والعفة هى « قمع للذات » . ثم تهجو النساء لموافقتهم على ذلك وتعتبر ذلك « مصادرة للنفس » وتصف ذلك بأنه أشد أنواع القمع «الثقافى والروحى» أى أنها تهجو الدين باعتباره المصدر الثقافى والدينى الذى يدعو إلى الفضيلة . وترى فى ذلك تضحية بالنفس فى سبيل الأسرة والمجتمع .

لقد ضاعت مفاهيم الفضيلة مع ارتفاع أصوات دعاة التحرر التى تحولت إلى صراخ هستيرى، كلما علا صوته كلما تصاعدت بلاياه وبلواه.

---

(١) حدائق النساء فى نقد الأصولية ص٨١ .

(٢) تقصد قيادة الرجل للأسرة فدعاة التحرر يرون فى ذلك نظامًا استبداديًا يقوم به المذكور باعتبارهم طبقة أعلى مكانة عن النساء حسب ظنهم .

الفصل الثالث
ضرورة العودة إلى مقاييس
العفة والعذرية والشرف

المبحث الأول :

ضرورة التمسك بتعاليم الأديان الخلقية .

المبحث الثاني :

العودة إلى الأديان وهجر ما يناقضها من قوانين أو فكر .

ضرورة العودة إلى مقاييس العفة العذرية والشرف

توطئة :

الواقع المرير الذى نراه ونسمعه ونحسه ونستنشقه مع نسمات الهواء أن تحرر المرأة فى الغرب والشرق أدى إلى نتائج اجتماعية واقتصادية وجنسية ودينية كلها سلبية ، خاليه من المزايا ، إلا اليسير الذى لا يستر هذه السلبيات أو يجعل الجميع ينادون باستكمال دعاوى التحرر، ومع ذلك ونتيجة لسيطرة وسائل الإعلام والإعلان على العقول ، وسيطرة الفكر الغربى « اللادينى » المستورد ، والذى يسيطر عليه للأسف شواذ العالم فكريا وجنسيا ، فما زال مسلسل المطالبة بحقوق جديدة للمرأة هو فى واقع الأمر يمثل المطالبة ببلايا ومصائب للمرأة وليس بمزايا مستمراً.

وهنا تبرز مشكلة كيف يقنع دعاة التحرر النساء والرجال والمجتمعات بمنح بلايا جديدة ومصائب للمرأة ، وقد أثبت الواقع أن ما وصلنا إليه اليوم لا يشجع أى عاقل على ذلك .

وكان الحل الأمثل هو إسقاط مقاييس العفة والفضيلة والشرف من حياة النساء وبالتالى المجتمعات ، فطالما تلك المقاييس موجودة ، فما زال هناك عائق صعب اجتيازه للوصول بالمرأة إلى ما يريد دعاة التحرر، ومن هنا أباح دعاة التحرر السفور أولاً ثم الفجور ثانيًا ثم الزنا بأنواعه

وأخيـرًا الشذوذ الجنسى بشتى صـوره وأشكاله المعروفـة من القـديم والمبتدعة فى الحديث .

وفى الحقيقة فإن مطالب دعاة التحرر كلها تؤدى إلى ضياع الشرف والعفة والعذرية للرجال والنساء على السواء .

فما زالوا يطالبون بالاختلاط فى الصغر والكبر بين البنات والصبيان ثم بين البالغين والبالغات من الرجال والنساء .

وهذه البلايا [1] التى أنتجها التحرر حتى الآن وسيفرز غيرها غدًا إن لم يعِ العالم المتحـضر واجبه نحوه قمـعها وقتلها فى مهـدها فسوف تتفاقم مشـاكل التحرر ، وسيصبح الإيدز والأمراض الجنسيـة وباء فتاكًا يصيـب كل الشعوب ، وسيـسـود الشذوذ الجنسى كل المجـتمـعات ، وسيـصبح أطـفال الشـوارع « اللقطاء » هم الغالبـية العظمى مـن أفراد المجـتمع ، وستـسـود العنوسـة وبالتالى ضـيـاع العلاقـات الإنسانيـة والاجتماعية والجنسية الكريمة من سائر الأسرة التى ستصبح أفرادًا فقط ، ومن ثم يهتم الإنسان برعاية الحيوان ويلازمه فى منزله كأنه ابن أو زوج أو أخ أو جدة أو جـد أو حتى صديق حـميم ، فيكد الإنسـان ويشقى لإعالة حيـوان ، ويقتل ويحتل الدول ـ كما تفـعل أمريكا الآن ـ ليُطْعَم إنسانًا بائسًا وحيـوانًا مكرمًا ، فيضع مفهوم الإنسانيـة الرحيمة ، ويحل

(١) انظر كتابنا : تحرير المرأة بين الأديان السماوية ودعـاة التحرر ، مكتبة الوفاء بالمنصورة ٢٠٠٤م وهو يتكلم عن مساوئ تحرير المرأة فى هذا العصر .

محله مفهوم الإنسانية الحيوانية الغادرة .

قد يتعجب القارئ من آرائى هذه ، ولكن إذا علم أن ما ينفق فى أوربا وأمريكا والعالم المتحضر على الحيوان الأليف ـ الذى يربى فى البيوت ـ من كلاب وقطط وفئران وحتى ثعابين أليفة لو أنفق على جياع البشر فى نفس هذه البلاد وفى بلاد آسيا وإفريقيا لتغير حال الإنسان ، وتطورت الإنسانية تطوراً اجتماعيًا وإنسانيًا وخلقيا ودينيا لم تصل إليه البشرية من قبل ، ولكن وا أسفاه أكرمنا الحيوان وأهنا الإنسان، أنفقنا على الحيوان وحرمنا الإنسان ، منحنا الحيوان المحبة والسكن والمودة والرحمة، وأعطينا الإنسان الكراهية والتشرد والحقد والبغضاء، دُفِنَ المسلمون فى مقابر جماعية فى كل أنحاء الأرض حتى فى بلاد عَبَدَةَ الأبقار ، ويكرم الحيوان بالدفن معززاً مكرمًا فى مقابر فاخرة فى أمريكا وبلاد الغرب الذى يدعى تحضره ، ونلقى جثث من ماتوا جياعًا أو بالأوبئة ـ فى آسيا وإفريقيا فى الأنهار فلا يغطيهم تراب .

ومن أسباب ذلك هجران المرأة بيتها واستباحة فرجها ، وهروب السكن والمودة والرحمة من حياة الإنسان وما سبق إيضاحه من بلايا والذى يعد قطرة من ماء محيط يوضح لنا ضرورة العودة إلى العفة والعذرية والشرف والذى سنوضحه فى المباحث التالية :

المبحث الأول : ضرورة التمسك بتعاليم الأديان الأخلاقية .

المبحث الثانى : العودة للأديان وهجر ما يناهضها من فكر .

المبحث الثالث : إعادة آداب الحجاب كما جاءت بالأيمان .

أولاً : عودة المرأة إلى الحجاب وهجر السفور .

ثانيًا : آداب عمل المرأة خارج بيتها للضرورة .

ثالثًا : آداب الاختلاط .

المبحث الأول
ضرورة التمسك بتعاليم الأديان الأخلاقية والعودة لأحكامها

تنادى كل الأديان السماوية والتى تمثل أعلى درجات الأخلاق السامية ـ مع اختلاف درجاتها ـ بضرورة إعمار الإنسان للأرض ولن يتم الإعمار السليم إلا من خلال عبادة الله بالقيام بفرائضة التعبدية ، واتباع أوامره الأخلاقية المنظمة لسائر شؤون حياته ، فإن أطاع الإنسان سَعِدَ فى الدنيا والآخرة وجزاه الله خيراً ، وإن عصى عوقب فى الدنيا وباء بالخسران فى الآخرة .

وجاء بالتوراة أن بعد طرد آدم وحواء من الجنة تكاثرا بالنسل فقال لحواء : « أكثر تكثيراً أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولاداً» [التكوين:٣:١٦] .

ولكن سرعان ما ابتعد النسل عن عبادة الله واتباع وصاياه فكان الجزاء هو الفناء لكل عاص فقط : « ورأى الرب الإنسان قد كُثر فى الأرض ، وأن كل تصور فكر قلبه يتسم دائما بالإثم[1] » (٦) فملأ قلبه الأسف والحزن لأنه خلق الإنسان (٧) وقال الرب : أمحو الإنسان الذى خلقته عن وجه الأرض مع سائر الناس . . . ، أما نوح فقط

(١) هذه الآن حقيقة مؤكدة لا لبس فيها ، فقد عاد الإنسان إلى معصية الله الشاملة.

حظى برضى الرب » [التكوين ٦ : ٥ ـ ٧] .

فكان الطوفان ، ولم ينج سوى نوح ومن آمن به وعَبَدَ الله. والتوراة توضح لنا جزاء الطاعة ومما جاء بها : « (١) والآن أصغوا يا بنى إسرائيل إلى الشرائع والأحكام التى أعلمها لكم لتعملوا بها ، فتحيوا وتدخلوا لامتلاك الأرض التى يورثها لكم الرب يورثها لكم إلهكم [1] (٢) لا تضيفوا على ما أوصيتكم به ، ولا تنقصوا منه» [التثنية ٤ : ١ ـ ٢] .

وأما جزاء المعصية : « وإن رفضتم فرائضى وكرهت أنفسكم أحكامى ، فما عملتم كل وصاياى بل نكثتم ميثاقى (١٦) فإنى أعمل هذه بكم: أسلط عليكم رعبا وسلاً وحمى تفنى العينين وتتلف النفس، وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم (١٧) وأجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ، ويتسلط عليكم مبغضوكم «الكارهون لكم» وتهربون وليس من يطردكم » [اللاويين ٢٦ : ١٥ ـ ١٧] .

والمسيحية آمنت بما جاء فى التوراة ، فطاعة الرب واجبة . أما فى الإسلام ، فالغاية من الخلق واضحة يقول الحق جلا وعلا : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن

(١) التوراة ترى دائمًا أن جزاء صلاح اليهود هو النصر على الأعداء وامتلاك أرض الموعد «الميعاد» فلسطين حاليا ، ولكن ليس هناك جزاء أخروى واضح حتى إن الكثير من الطوائف اليهودية تنكر عذاب الاخرة .

يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨] .

وأوضح الله أن سبب تكاثر البشر هو عبادته وطاعته فقال الخالق البارىء المصور : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] .

أما جزاء الطاعة فهو الصلاح فى الدنيا والفلاح فى الآخرة ، يقول تعالى اسمه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦] ، كما يقول : ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ [الجن : ١٦] كما يقول تبارك اسمه : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء : ٦٩] .

ويقول عند هلاك قوم نوح فى أول الخلق لعصيانهم ﴿فَاسْتَجَبْنَا (١) لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء : ٧٦ ـ ٧٧] وكذلك مصير قوم لوط لتفشى اللواط «شذوذ الجنس» وقوم عاد وثمود .

وجزاء المعصية بصفة عامة أوضحه الحق جل شأنه فقال : ﴿وَمَن

---

(١) سبق أن دعا نوح على قومه لعصيانهم فقال : ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح : ٢٦ـ٢٧] .

أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦] .

فالعودة إلى تعاليم الأديان هى العودة إلى التمسك بأحكام الله المنظمة لشؤون البشر ، وهى عودة إلى الصفاء النفسى والدينى «الروحانيات» وهو ما يفتقده العالم العلمانى المتحضر الذى زادت نسبة الانتحار فيه مع زيادة نسبة الرفاهية فيه.

وقد آمن مفكرو الغرب المعتدلين بذلك ، وكذلك آمن بهذا سائر الناس حتى الذين لا يعرفون عن الدين سوى اسمه فقط وعن ذلك تقول د. نوال السعداوى منكرة ذلك : « حين كنت أستاذة زائرة فى جامعة ديوك خلال الأعوام الأربعة الأخيرة . . . وعدد من الجامعات الأمريكية . . لاحظت أن هناك اتجاها بين النساء وبعض الرجال نحو ما يمكن أن يسمى « العودة إلى الروحانيات » .

وكنت أسألهم دائمًا ماذا تعنون بكلمة الروحانيات أو الروحانية «spirituality» ، لم تكن إجاباتهم واضحة ، وإنما كلمات غامضة من نوع الروحانية هى أن نرفض هذه الحضارة المادية التى لا تهتم إلا بالماديات والشهوات الجسدية وتنسى الروحانيات »[1] .

وتستكمل د. نوال مناقشة الأمر موضحة أن العودة للأديان هى

---

(١) توأم السلطة والجنس ص٩١ .

ضد تحرر المرأة الذى تنادى به هى وغيرها فتقول : « وفى رأيى أن عبارة «العـودة إلى الروحانيـات » لا تختـلف كثـيرا عن عـبارة «العـودة إلى الأديان» التى تطلقهـا الحركات الدينيـة السياسـية المسيـحية والإسلامـية واليهودية والبوذيـة والهندوكية . . إلخ إنهم يستخدمـون العبارات ذاتها ويقولون أيضـا إن الحضارة الغربـية هى حضارة مـادية، ولهذا أدت إلى تعاسـة الإنسان ، لكن العـودة إلى الله أو الدين « العـودة إلى الإنجيل التوراة ، القـرآن . . . هى التى سوف تنـقذ الإنسان وتملأ قلـبه بالإيمان والسلام والسعادة » .

يتكلمـون دائمًا عن الإيمان والسـلام والسعادة ، وهى كـلمات بلا معنى إذا كانت عامة مطلقة غير خاضعة لمكان معين وزمان معين» [1] .

والفقـرات السابقة توضح إيمان البشرية كلها مع اخـتلاف الأديان والثقافات بضرورة العـودة إلى أحكام الله المنظمة لشؤون الإنسان ومنها ما يختص بالمرأة والشرف والعفة وغير ذلك .

ومع ذلك تعتبر الكاتبـة أن هذا بلا معنى لأن ذلك لم يعد يناسب المكان « العـالم اليـوم » والزمان « العـصـر الحالى » ، وكـأن دين الله وشرائعه اختصت بمكان دون آخر وبزمان وبشر دون غيرهـم .

إن الكاتبة التى هى ابنة عالم أزهرى ـ كما تقول ـ لم تعد ترى فى العودة إلى الله ضرورة ، وذلك لأن العودة إلى منهج اللـه سيحرم دعاة

(١) المرجع السـابق ص٩٢ .

التحرر مـن مطالب كثيرة مـستقبليـة وسيمنع حقـوقًا كثيرة نالـتها المرأة سابقا، هى سر انحلال المجتمعات الآن .

وللأسف ما وصل إليـه حال الناس من تخـبط وعدم معـرفة آداب وأحكام الإسلام هو الذى جـعلهم لا يفهمون مـعنى العودة إلى الأديان وتوضح ذلك الكاتبـة فـتقـول « كنت أتحاور كـثـيرا مع هؤلاء النسـاء الروحانيات المتحررات ، وأندهش لهذا التناقض الكبير الذى يعشن فيه، والروحانيـة مثلا تعنى أن المرأة تفصل بين جـسدها وروحها وأنهـا تهتم أكثر بروحهـا ، إلا أن معظم هؤلاء النساء يوجهن اهتمـامهن لجسدهن وشكلهن الخـارجى ، أكثر من أى شىء آخـر ، مما يتناقض مع فلسـفة تحـرير المرأة [leminisn] ، إن هذه الفلسفة تنقـد فكرة فصل الجسد عن الروح ، ذلك أن عـبودية المرأة فى التـاريخ نشأت عن هذا الفـصل التـعسـفى بين الروح والجسـد ، أصـبح الله هو الروح ، والجسـد هو الشـيطان ، أصـبح الرجل يرمـز إلى الروح والإله ، والمرأة ترمـز إلى الجسد والشيطان .

كـيف إذن تكون المرأة مـتحـررة « أى leminist » ثـم تـؤمـن بانفصال الروحانيات عن الماديات ؟!» [1] .

ونحن نقول موضحين ما يلى :

التناقض الكبير لأفكار من يردن العـودة للدين « الروحانيات » إنما

---

(١) توأم السلطة والجنس ص٩٢ .

مرجعه أنهم جهلاء بأحكام الدين « كل حسب عقيدته » ومع ذلك فالإيمان الفطرى الطبيعى قد غلبهم وغلبهن على جهلهم وجهلهن.

إن الله لم يكن الروح ولا يمكن تشبيه الخالق بجزء من مخلوق فالله ليس كمثله شيء ، وقد أوضحت التوراة ذلك كما جاء بها : أنا هو الرب ، هذا هو اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر « ومجده هنا هو أسماؤه وصفاته » ، وجاء بالقرآن الكريم : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] .

أما الادعاء بأن الرجل يرمز إلى الروح والإله ، والمرأة ترمز إلى الجسد ، فهو ادعاء باطل وهو ليس فى كتب الله السماوية الثلاث بالرغم من تحريف « التوراة والإنجيل » ولكن ارتفاع قيمة المرأة وعلو مكانتها يكون بمحافظتها على جسدها من كل خطيئة ، فجسدها ملك لخالقها وهو الله ويجب أن ننزهه عن كل دنية وخطيئة وإثم وفجور. فإن فعلت ذلك كانت طاهرة مؤمنة أو قل إن شئت « مقدسة عن الخطايا» .

فالتوراة تصف المرأة الشريفة العفيفة الطاهرة المحافظة لعفتها والصائنة لفرجها فتقول : « امرأة فاضلة من يجدها ؟ (١٠) لأن ثمنها يفوق اللآلىء . . . (٣٠) الحسن غش والجمال باطل ، أما المرأة المتقية الرب فهى تمدح » [الأمثال ٣١ : ١٠ ، ٣٠] .

وتقول عن المفرطة فى عرضها المستبيحة لجسدها : « (٨) ابعد

طريك عنها « المرأة الزانية » ولا تقترب من باب بيتها . . (٣) لأن شفتى المرأة العاهرة تقطران شهدا ، وحديثها أكثر نعومة من الزيت (٤) لكن عاقبتها مُرَّة كالعلقم ، حادة كسيف ذى حدين » [الأمثال٥ :٨، ٣، ٤] .

« لأنه بسبب المرأة العاهرة يفتقر الإنسان إلى رغيف خبز والزانية المتزوجة تقتنص بأشواكها النفس الكريهة (٢٧) أيمكن للمرء أن يضع ناراً فى حضنه ولا تحترق ثيابه ؟» .

[الأمثال٦ :٢٦ ، ٢٧] .

وعن أمر الرجال بالمحافظة على شرفه وتكريم جسده عن الزنى جاء بالتوراة : « ليكن ينبوع عنقك مباركًا ، واغتبط افرح بامرأة شبابك» [الأمثال ٥ :١٨] فهنا أوجبت التوراة عفة الرجل بصيانة ينبوعه عضوه الذكرى الذى لا يجب أن يستمتع إلا بزوجته فقط .

كما اعتبرت غواية المرأة للرجل جريمة يجب عليه مقاومتها ونحرها: « يرعاك العقل ويحرسك الفهم (١٢) إنقاذا لك من طريق الشر . . (١٦) وإنقاذا لك من المرأة الغريبة المختالة التى تتملقك بلسانها (١٧) التى نبذت شريك صباها وتناست عهد إلهها . . . (١٩) كل من يدخل إليها لا يرجع ولا يبلغ سبل الحياة » [لأمثال :٣] .

وقد أهانت التوراة الرجل الذى يترك نفسه لشهواتها فقالت: «الرجل المفتقر لضبط النفس مثل مدينة متهدمة لا سور لها »

[الأمثال ٢٥ : ٢٨].

إذن فالتوراة لم تعتبر الرجل رمزًا للإله والروح والمرأة رمزًا للجسد وساوت بينهما في ضرورة العفة والمحافظة على الجسد والعرض وعدم الزنا.

كذلك فى المسيحية لم يختلف الأمر ، فقد ساوت بين الرجل والمرأة فى التمسك بالعفة والمحافظة على النفس فجاء بالإنجيل «(١٤) الجسد ليس للزنا ، بل للرب ، والرب للجسد . . (١٥) ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح ؟ أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية ؟ حاشا (١٦) أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد . . (١٧) أما من التصق بالرب فهو روح واحد (١٨) اهربوا من الزنا ، الذى يزنى يخطئ إلى جسده» [١/ كورنثوس٦] .

وهذه الفقرات أوضحت أن الاساءة للجسد لكل من الذكر والأنثى هى إساءة مباشرة لله «المسيح حسب الاعتقاد المسيحى» ، وتعبير «الجسد للرب والرب للجسد يوضح أن جسد الإنسان ملك لخالقه وليس له حرية الزنا تحت أى مسمى ، وأنه لا وصول لطاعة الله «الروحانيات» إلا بحماية الجسد من الخطيئة فليس هناك فصل بين الجسد والروح .

أما فى الإسلام ، فلم يفرق الله بين الرجل والمرأة فى الأمر بالمحافظة على النفس وسمى ذلك «إحصانًا» وجعل من شروط تقوى الله على رضاه فى الأرض والسماء هو حفظ النفس من الزنا فقال

تعالى : ﴿ إنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥] .

كما أوضح أن من شروط الإيمان محافظة الرجل علي جسده : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[المؤمنون : ٥ ، ٦] .

والإسلام لا يؤمن بالصداقة والعشق والحب الماجن قبل الزواج : ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٣].

ومعلوم أن الله أفنى قوم لوط لقيام رجالهم بمزاولة الشذوذ الجنسى.

إذن كل الأديان السماوية لم تنظر للرجل على أنه إله يزنى كما شاء ويستمتع بالنساء كما يحلو له ، كما أنها لم تنظر للمرأة على أنها شهوة وجسد فقط.

ويجب ألا ننسى أن الأديان ساوت بين الرجل والمرأة فى جزاء الزنى والمعصية بالحد « الجلد » أو الرجم .

ولا شك أن أغلب دعاة التحرر يعلمون ما ذكرته ، ولكنهم

يدركون تمام الإدراك أن اتحاد الجسد بالفضيلة وتمسكه بها هو السبيل للاتحاد بالروح أى أن التقوى كما فى الإسلام والخلاص كما فى المسيحية وطاعة الرب كما فى اليهودية لا تتم إلا بالاتحاد الإيمانى بين الجسد والروح « النفسى » ، ولكن ذلك يعنى محاربة الأسس التى تقوم عليها دعوة تحرر المرأة وهى فصل الجسد عن الروح أى منح الجسد الحرية فى الزنا واللواط والسحاق باعتبار ذلك من حريته ، وليس من شروط تقوى الله .

وقد أوضح القرآن الكريم حقيقة العلاقة بين « النفس » والجسد أى الروح « كما يطلق على النفس » فقال تعالى : **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾** [الشمس: ٧-١٠].

وجاء فى تفسير القرطبى لمعنى الآيات :

« أى عرفها طريق الفجور والتقوى ... عرفها الطاعة والمعصية... عرفها طريق الخير وطريق الشر ، وروى عن أبى هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ : **﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾** قال : « اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ... قد أفلح من زكاها» أى من زكى نفسه بطاعة الله ، «وقد خاب من دساها» أى خابت نفسى إن دسها الله عز وجل بالمعصية» إذن للوصول إلى التمسك بالأديان وهو ما يسمونه « الروحانيات لابد له من

اتحاد النفس «الروح مع الجسد فى طاعة الله ، وإن أضر ذلك بالدعوة للتحرر فطاعة الله هى الأولى وصدق تعالى حيث قال : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] .

المبحث الثانى

العودة إلى الأديان وهجر ما يناهضها من قوانين وفكر

توطئة :

العـودة إلى الدين تعنى العودة الصـحيـحة لعـبادة الله الخـالق ، والعبـادة ليست صلاة وصـيامًا وقـيام ليل وزكاة وقـبل ذلك كله إيمان بوحدانيـة الله وقدرته وعظمتـه وجلاله ، ولكنها أيضـا اتباع لمنهج الله المنظم لكل شـؤون خلقه ، الذين قـالوا ربنا الله ثم استـقامـوا فالإيمان بوجود إلـهه هو من الأمور الـفطرية التى لا تنكرها أى نفس سليـمة ، ولا يحجبها أى فكر مستنير ، ويقول تعالى عن ذلك : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

ولكن اتباع منهج الله وشريعته ليست إلا للصفوة التى أطلق عليهم «المؤمنون» و «المتقـون» و «الصالحين» و « عباد الرحمـن» و «عباد الله» وفى المسيحية «القديسين» وفى اليهودية «أبناء الله» و «شعبه المختار» .

وحيث إن اتبـاع منهج الله يحـتاج إلى علم بشـريعته التـى تشمل أوامره ونواهـيه «افعل ولا تفـعل» وهذه تحتـاج إلى تعليم وتوجـيه . . ولأن عهد النبوة قد انتهى بآخر نـبى ورسول وهو «محمد بن عبد الله» رسول الله ﷺ . فـأصبح من واجب علماء الدين فى الإسـلام ورجال الدين فى اليهودية والمسيحيـة القيام بتعليم وتوجيه باقى المؤمنين بأحكام الأديان من عبادة وأخلاق ومعاملات .

وهذا يتم بطرق عـدة ، منهـا التعليم فـى دور العلم : حضـانة ـ مدارس بمسـتوياتها المتنوعـة ـ جامـعات ، كـذلك المساجـد والكنائس والمعبد، ووسائل الاتصال الأخرى من مقروءة ومكتوبة ومسموعة .

والواقع أن كل المؤسسـات قد أهملت القـيادة الدينية والروحـية ، وذلك لاتباع منهج جديد شيطانـى سمى باسم براق جميل ولا صلة له به وهو « العلمانية » فلا أساس للفظ من العلم ولا علاقة له به [1] .

وحيث إن العالم العربى والإسلامى أصبح ـ شاء أو لم يشأ ـ تابعًا وخادمًا أمينًا للغرب لا لله ، فقـد تم إلغاء التعليم الدينى ـ تقريبًا ـ من المدارس فأصبح لا أهمية له فى نجاح أو رسوب أو تقدير درجات .

وفى هذا المبحث سنعرض لما يلى :

أولاً : رفض العلمانية ونبذ فكرها الغير إسلامى .

ثانيًا : عدم اتبـاع القوانين الدولية وتآمرات الأمم المتـحدة المناهضة للأديان .

ثالثًا :تعديل القوانين فى البلاد الإسلامية من وضعية إلى إسلامية.

رابعًا : ضرورة السيطرة على الإعلام وتوظيفه لخدمة الدين .

---

(١) العلمـانيـة بكسـر العين : ترجـمـة غـير دقـيـقـة ، بل غـيـر صحـيـحـة لكلمـة «Seularism» بالإنجليـــزية أو « Secularit » أو « lAique » بالفرنسية ولا علاقة لها بالعلم ومشـتقاته : التطرف العلمانى فى مواجهة الإسلام أ. د يوسف القرضاوى ص١٣ .

أولاً : رفض العلمانية ونبذ فكرها الغير إسلامى :

مفهوم العلمانية ومعناها : « هى ترجمة غير دقيقة ، وغير صحيحة لكلمة « secularism » فى الإنجليزية أو « secularit » « laique » بالفرنسية ، وهى كلمة لا صلة لها بالعلم ومشتقاته على الإطلاق والترجمة الصحيحة للكلمة هى « اللادينية » أو «الدنيوية» تقول دائرة المعارف البريطانية مادة « secularism » هى حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس ، وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا وحدها » (١) .

وسبب نشوء هذا الفكر هو التناقض الذى أثبته العلم الحديث بين المسيحية واليهودية ممثلين بالإنجيل والتوراة وبين العلم الحديث ، حيث أثبت العلم تناقض الكثير من الحقائق العلمية مع الكتاب المقدس ، وهذا لم يحدث للقران الكريم حيث يؤكد العلم صدق القرآن الكريم ، وصدق تعالى حيث قال : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨] .

وحيث إن الشريعة الإسلامية ، هى التى تنقل الإسلام من عالم النظريات والمثاليات إلى دنيا الواقع والتنفيذ ، مما يهيئ للمجتمع سياجًا قويا من الأحكام الشرعية الإسلامية القائمة على قانون السماء لا على

---

(١) أ . د . يوسف القرضاوى : التطرف العلمانى فى مواجهة الإسلام ، أندلسية للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م .

اجتهادات البشر ، فإن الإسلام أو الدين بصفة عامة هو العدو الأول للعلمانية ، ومن ثم كان هدف نشر الفكر العلمانى فى الأقطار الإسلامية ليس نشر العلم كما يتوهم البعض ولكن نزع العلم الدينى ونشر القوانين الوضعية العلمانية ، إذن العلمانية هى : « عزل الدين عن حياة الإنسان بحيث لا يكون لا يكون للدين سلطان فى توجيهه أو تثقيفه أو تربيته أو التشريع له ، وإنما ينطلق فى مسيرة الحياة بوحى عقله وغرائزه أو دوافعه النفسية فحسب ، فالعلمانية : عزل الله تعالى عن حكم خلقه ، فليس له عليهم سلطان ، كأنما هم آلهة أنفسهم ، فهم يفعلون ما يشاؤون ، ويحكمون ما يريدون ، ولا يسألون عما يفعلون».

العلمانية : تطرد التشريع « القانون » الإسلامى من كل مجال ، حتى فى الأحوال الشخصية لهذا حرمت الطلاق ، وتعدد الزوجات ، وسوت بين الأبناء والبنات فى الميراث مخالفة بذلك قطعيات الشريعة وما علم من الدين بالضرورة » (١) .

والعلمانية ليست من الدين لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ [الجاثية:١٨] ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٥٠] .

---

(١) المرجع السابق ص١٦ ، ٤٧ .

﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

بداية تسلل القوانين العلمانية الغربية إلينا :

يقول المستشار طارق البشرى : « عملية النقل فقط عن الغرب جاءت .. مع الاحتلال البريطانى ، فقد أدى الضغط الاستعمارى عن طريق المحاكم المختلطة ؛ التى كانت القاعدة التشريعية الأساسية التى صدرت لنا القوانين الغربية ، عن طريق إنشاء المحاكم المختلطة عام ١٨٧٥م ، ... كان قنصل أى بلد هو المنوط به أن يحكم على القضايا المرفوعة على رعايا بلده ، سواء فى القضايا المدنية أو الجنائية ... ولم يكن القضاة أقل ظلمًا من القناصل ولكن ما حدث كان تنظيمًا لإجراءات التقاضى » .

وقد قال حافظ إبراهيم فى ذلك : « كان الظلم فينا فوضى فهذبت نواصيه حتى صارت ظلمًا منظمًا ، فكان ذلك بمثابة تنظيم للظلم» [٢] .

إن اختلال الشريعة بدأ من هذه الفترة ، فترة الاستعانة بالقانون الفرنسى رأسًا وتجاهل كل الأحكام المستقاة من الشريعة التى سبقته ، وقد ظلت أجيال القضاة والمحامين تعتمد على « السيكلوبيديا دانلوز» الفرنسية كمرجع أساسى للأحكام وكانت إجادة الفرنسية شرطًا أساسيًا لمتبع تلك القوانين » .

ويوضح ضرورة العودة إلى الشريعة الإسلامية فيقول : « هناك

(١) إقبال بركة : حوار قضايا إسلامية ص١٤٤ ، ١٤٥ .

انفصام بين القـواعد التى تحكم سلوكياتنا وأخـلاقياتنا وهى مسـتقاة من الدين ، وبين القواعد التى تحكم مـعاملاتنا وتنظيماتنا وهى مـستقاة من القوانـين الوضعيـة ، والمطلوب أن تظلنا مظلة شـرعية واحـدة ، ممكن نختلف ولكن داخل إطارها » [1] .

إذن يجب علينا حتى نفلح فى العودة إلى ديننا أن ننسلخ من ذلك الزى البغيض المسـمى بالعلمانية والقوانين الغربيـة ، ومنهجنا هو القرآن والسنة حيث يقول تبارك اسمه : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥] ، إن النداء فى الآية يوضح بجلاء أن واجب الأمـة الإسلاميـة هى هداية الناس لدينها ودعوتهم لاتبـاع شريعة الإسـلام ، وليس أن يتبع المسلمون غـيرهم . علينا أن نعود لديننا ونتـذكر هديه وهداه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

(١) المرجع السـابق: ص١٤٦ ، ١٤٧ ونحن نرجع أن المقـصـود « تظللنا مظلة شـرعيـة واحدة» هى الشريعة الإسلامية ، وليس القوانين الغربية .

ثانيًا : عـدم اتباع القوانين الدوليـة وتآمرات الأمم المتحـدة المناهضة للأديان .

لقد توسع مـفهوم العلمانيـة وبعد أن غطت القوانين الأجنبـية كل مناحى حـياة المسلمين ، طـاردة أحكام الشريعـة الإسلامـية ، أكـدت العلمانية قوتها وثبتت أقـدامها عن طريق ، إصدار القوانين الدولية التى تلغى نهـائيا أحكـام الأديان كلها السـماويـة وغيـر السمـاوية «إن صح التعبـير» ، وقد شاركت الأمم المتـحدة بمؤتمراتها «تآمراتهـا» المتعددة فى إلغاء الأخـلاقيات الجنـسية من القـوانين ثم مخاولة إلـغائها من عـقول البشر، والنداء بالمساواة بين الفضـيلة والرذيلة ، تحت مسمى المساواة بين الرجال والنســاء وتقول فريدة النقاش مـوضحة تخلى دعاة التـحرر عن الدين والاستعانة بالغرب وبلاياه :

« ولم تكن مـصادفـة أن الغالبـية العظمى من المنظمـات النسائـية الجديدة فى الوطن العربى قد اختارت أن تؤسس مرجعيتها الفكرية على المواثيق الدولية وخاصة اتفاقية إلغاء كل أشكال التميز ضد المرأة»[1] .

وتبرز هذا الاتجاه على لسان إحدى البـاحثات المناديات بتحرر المرأة وهى «هبـة رؤوف التى تقول : « مـا الذى يضـمن خصـوصيـة تطور حركـات تحرير » [2] المرأة العربية مادامت تعانى من قطعـية معرفية مع

(١) فريدة النقاش : حدائق النسـاء فى نقد الأصولية ص ١٧ .

(٢) نحن نرى أن ما يطالبـون به ولا يوافق الشريعة الإسـلامية « تحـرر» وليس تحرير لأنه يؤدى وأدى إلى فجور المرأة وتحررها من القيم الدينية والأخلاقية .

الدين، وتستند لمواثيق حقوق الإنسان بأكثر مما تستند للأصول الإسلامية»[1] .

والعبارة السابقة على إيجازها توضح أن تحرر المرأة أمر خاص وكأن المجتمع لا علاقة له به ، وحيث إن المطالب الخاصة بالتحرر ليست من الدين ، ومخالفة له ، فإن مرجعية هذه الحركات هى مواثيق حقوق الإنسان ، والتى نرى أنها لن تستطيع أن تسمو فوق حقوق الإنسان فى الإسلام مهما علت ونادت وادعت الرقى . هذا ولم تكتف تلك الدعاوى الفاسدة بنبذ تعاليم الإسلام بل لجأت إلى سبه بطريقة غير مباشرة ، عن طريق إهانة الحركات الإسلامية الرشيدة الهادفة إلى العودة إلى الدين ، فتقول فريدة النقاش :

« فإن وصف الحركة الإسلامية بأنها قوة رجعية معادية للمرأة وتدمر منجزاتها ليس «شتيمة» لكنه وصف علمى واقعى ، إذ أن هذه الحركة تهدر مبدأ المساواة وتضع المرأة فى مرتبة أدنى بسبب جسدها»[2] .

وسوف نعرض فى عجالة لبعض بنود المادة السادسة عشرة من الاتفاقية الدولية لإلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة ، ففى ، مجال

(١) المرجع السابق ص٢٥ .

(٢) أوضحنا فى هذه الموسوعة أن الإسلام لم يضع المرأة فى مرتبة أدنى من الرجل بسبب أنوثتها أو جسدها ، ولكنه وضعها فى المرتبة المناسبة لها والمتناسبة مع مناسبتها لوظيفتها فى الحياة كزوجة وأم أولا ثم كعاملة فعالة فى المجتمع عند الضرورة.

الأحوال الشخصية :

هناك بنود تعمل على تساوى الرجل والمرأة فى :

أ ـ نفس الحق فى عقد الزواج :

ويقصد بذلك حق زواج المرأة بدون ولى أو بدون علم الآباء والإخوة وأوليائها ، وكذلك حقها فى تشوء حق تطليق نفسها بنفسها وهو ما عبرت عنه الاتفاقية فى البند « ج » .

جـ ـ نفس الحقوق والمسؤوليات أثناء الزواج وعند فسخه. وهذا يعنى إلغاء حق القوامة للرجل بكل أشكاله كما أمر الإسلام فلا حق للزوج فى الإذن لسفر زوجته أو فى طاعتها له أو فى الموافقة على خروجها من البيت للعمل أو الضرورة أو لغير ضرورة ، كما ينشأ لها حق منع نفسها عن زوجها إذا أراد جماعها . . . إلخ .

ز ـ نفس الحقوق الشخصية للزوج والزوجة بما فى ذلك الحق فى اختيار اسم الأسرة والمهنة والوظيفة .

ويقصد بالحق فى اختيار اسم الأسرة هو حق المرأة فى أن تسمى مولودها باسمها أى تنسبه إليها فيقال مثلاً الاسم : محمد فريال إبراهيم أو إبراهيم سوسن حسين ، أى لا يلحق اسم الوالد وعائلته باسم المولود!!!

ويدخل فى المعنى ضرورة المساواة فى الإرث ، وتشرح ذلك فريدة

فتقول : « وفى مجال الإرث :

وتجمع المذاهب الفقهية المختلفة على التفسير الحرفى لآية الإرث وللذكر مثل حظ الأنثيين ومع ذلك كان المتدينون العاديون أبعد نظرا وأكثر حنكة من غالبية المفسرين حين أقدم الذين لم يلدوا إلا البنات على التوصية بكل ثرواتهم أو نقلها وهم أحياء إلى بناتهم ، وحتى بعض الذين أنجبوا أولادا وبنات وزعوا ثرواتهم بالتساوى فى حياتهم وساووا بين البنت والولد فى الإرث معتمدين تأويلات مستنيرة وعصرية على اعتبار أن التخلى عن الحلال ليس حراما فى الشريعة »[(١)] .

وهنا ترى الكاتبة أن من لم يتبع تعاليم الإسلام فى الإرث « أبعد نظراً وأكثر حنكة من غالبية المفسرين » أو ليس هذا أمراً عجيبًا ؟! من يخرج عن شرع الله أكثر حكمة من المفسرين ، لقد تناسى هؤلاء أو جهلوا أو لم يؤمنوا بأن آيات المواريث ليست من الأحكام المتشابهة التى تختلف فيها الآراء فهى قطعية الثبوت قطعية الدلالة جاءت واضحة بينة فى القرآن والسنة . أوضح الله فى قرآنه الكريم الحكمة من تشريعها فقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١] وفى نهاية الآية أوضح الحكمة من ذلك فقال الحكيم الخبير : ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١١] وقد صدق الله تبارك وتعالى فكم من رجل أو امرأة أوصى لأولاده ، بثروته حال حياته ولم ينتظر حتى ينفذ شرع الله

(١) المرجع السابق ص٤٥ .

فى الإرث ، فخانه أولاده وأهملوه فمات ذليلاً بعد عز.

ونحن نسأل هؤلاء : هل من يكتب ثروته لبناته حال حياته ويترك أمه وأخته أو زوجته ألا يكون قد ظلم نساء أخريات وتعدى على حق المرأة ؟!!

كيف تدعى الكاتبة : « أن التخلى عن الحلال ليس حرامًا فى الشريعة والله يقول فى آية المواريث بعد ذكر الأحكام : ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ⑫﴾[النساء:١٢] ثم يقول فى الآية التالية : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء:١٣] ، ثم يحذر من معصية أحكامه فيقول فى الآية التالية أيضًا : ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤] إنهم يتحايلون على شريعة الله تحت مظلة ألفاظ واهية مجملة مستترة المعنى والمفهوم محاولين الإيحاء أنها من شرع الله .

أما عن مرجعية الأمم المتحدة ومنظماتها ومؤتمراتها « تآمراتها » الداعية لتحرر المرأة ، فهذا وصمة عار فى تاريخ تلك المنظمة الدولية ، التى أنشئت فى الأصل لسلام العالم وقد تبين أنها أنشئت لقيادة الدول العظمى للدول الصغرى وحربها وإبادتها ، وأيضا المساعدة فى نشر الفواحش تحت مسمى حرية المرأة ، والمساواة ، وحرية الجسد وغير ذلك. إن ما تتخذه هذه التآمرات الدولية « لا المؤتمرات » من أساليب

لغوية وفكرية لتزيين الباطل لإخفاء قباحته ، ولتقبيح الحق لحجب رونقه وحُسنه وجماله ، ليفوق أساليب الشيطان الرجيم فى إغواء البشر وإغرائهم للتخلى عن الفضائل والتمسك بالرذائل ، فشياطين الإنس تفوقوا بجدارة على شياطين الجن ، وقال الله تعالى عنهم : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[الانعام: ١١٢] ومن هذه الأساليب :

* التلاعب بالألفاظ وتحريف الكلم عن مواضعه ، وخلق مصطلحات إباحية جديدة : « وقد بلغت الجرأة بواضعى برنامج عمل مؤتمر بكين ، أنهم لم يكتفوا بترديد قضاياهم الخاسرة ، بل تمادوا فى غيهم ، وزادوا من لجاجتهم ، موغلين فى اللعب بالألفاظ ، وفى تحريف الكلم عن معناه إلى المعنى الذى يتطلعون إليه ، مفهوم الصحة الإنجابية « Reproductive and sexual Health » حمل فى دلالته الإباحية والفسق Licen / tiouaness ، استخدام كلمة مضاجعة المثيل بدلاً من كلمتى اللواط sodomy والسحاق Lesbianism [١] .

واستخدام كلمة : ممارسة المتزوجين للجنس من غير أزواجهم Extramarital sex: بدلا من زنا المحصن Adultery كاستخدامهم كلمة نوع GENDER عشرات المرات بمعان محرفة ترمى إلى إلغاء الفوارق بين الذكورة والأنوثة ، وتحويل الإنسان إلى مسخ ، لا هو

---

(١) مجلة الأزهر عدد شهر ربيع الأخر ١٤١٦هـ « بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف » .

بالذكـر ولا هو بالأنثى ، وذلك مع الإيهـام ببـراءة القـصـد وسلامـة الهدف».

* كما خلقت مصطلحًا جديدًا هو « الأسرة وحيدة الوالد» أى التى لا يوجد بهـا سوى الأم ، لعـدم معـرفة من هو الأب ، فـالأب لكثرة العشاق غيـر معروف وقد طالبت هذه التآمرات بالاعـتراف بها ، وعدم النظر للمرأة كـعاهرة أو زانية ، وبالتالى الاعتـراف بالحمل والولادة من سفاح من زنا ، وتحليـل الاتصال الجنسى الغير شـرعى بين المرأة وأكثر من رجل فى وقت واحـد أى التعـدد للمرأة فى حـرام وهم يهاجـمون الإسـلام للتـعـدد بالزواج الشـرعى ، وأطلقـوا على ذلك - Sengle Parent - Familg Senle - pareent - family » وعلـى ذلك إذا أردنا العودة إلى مـقاييس العفـة والشرف التى أوضحـها لنا الدين ، فلابد من التخلص من القوانين الدوليـة والتآمرات التى تتم ضد الأديان كلها لا الدين الإسلامى فقط ، وندعوه تبارك وتعالى كما قال فى قرآنه الـكـــريم : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

ولو أنصفت الأمم المتحدة ومنظماتها لاتبعت تعاليم الإسلام المنظمة شتى مناحى الحياة واتبعت رسول الله ﷺ الذى قال له ربه : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥] .

ثالثا : تعديل القوانين فى بلاد الإسلام من وضعية إلى إسلامية

قد يعجب البعض ويفقد الثقة فى كل شىء يظن فيه المثالية والقدوة لو علم أن القوانين الوضعية فى أغلب الدول العربية ما عدا ما يعد على جزء من أصابع اليد الواحدة ، قوانين تدعو للفسق والفجور ومع ذلك يتغنى بها دعاة تحرر المرأة ، ويدعون أنها قوانين متحضرة وأكثر إنسانية من القوانين الإلهية فها هى فريدة النقاش تقول عن قوانين الأحوال الشخصية فى تونس :

« باستثناء القانون التونسى فإن كل قوانين الأحوال الشخصية فى الوطن العربى تقوم على التميز » (١) .

ولنا أن نتساءل عن القانون فى تونس ومدى ارتباطه بالإسلام يقول أ.د. يوسف القرضاوى .

« ففى حين خول « بورقيبة» بقاء صفة الإسلام القائمة فى الدستور للدولة ، جعل ولايته على الإسلام وعلى مساجده ومدارسه ومعاهده وأئمته ، حتى استطاع أن يغلق جامع الزيتونة العريق ، ويؤمم الوقف والمساجد ، ويغلق الكتاتيب ، ويدعى الاجتهاد فى الدين ، ويزعم أنه أمير المؤمنين » (٢) .

---

(١) حدائق النساء فى نقد الأصولية ص٣٧ .

(٢) أ.د. يوسف القرضاوى : التطرف العلمانى فى مواجهة الإسلام ص١٣٨، ١٤٠.

فقـد حرم القانون التونسى مـا أحل الله من تعدد الزوجات فـجاء بالقانون : تعدد الزوجات ممنوع كـل من تزوج وهو فى حالة الزوجية، وقبل فك عـصمة الزواج السـابق يعاقب بالسـجن لمدة عام وبخطة «أى غرامة مالية قدرها ٢٤,٠٠٠ فرنك » [(١)] .

والعجيب أنه فى نفس الوقت أباح الزنا ، فقـد ضبط رجل متزوج من امرأة سراً عندهـا ، فلما قبضت عليه الشـرطة ، أنكر الزواج وقال أنه عشيقها ، أى خليلهـا وليس حليلها . . فأطلقت الشرطة سراحه ، باعتباره لم يخالف القانون » [(٢)] .

والأعجب بل الأدهى والأمر « أن هناك دعـوى فى تونس لتحريم صيام شهر رمضان لأنه يقلل الإنتاج ، ويعوق تقدم تونس ونهضتها هذا وقد حرم القـانون فى تونس الزى الشرعى للمسلمات بمقـتضى المنشور ١٠٨ بدعوى أنه لبس طائفى يرمز إلى مذهب متطرف هدام ، ومما جاء فى هذا المنشور : « إن من واجبات العون « المساعدة » سواء بالإدارة أو بالمؤسسـات العمـوميـة ومن الجنسين دوام التحلى بالمظهـر اللائق الذى يحـفظ له احتـرامه ، وللإدارة هيـبتهـا سيـما وأنه يحـمل أمانة تمثـيل الدولة. . . يجدر التنبيه إلى ظاهرة أخرى تتمثل فى الخروج عن تقاليدنا

---

(١) أ .د . يوسف القـرضـاوى : التطرف العلمـانى فى مـواجـهة الإسـلام ص١٣٨ ، ١٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص١٤١ والقـصة مختصـرة عن رواية للإمام الأكبر الشيـخ عبد الحليم محمود سمعها منه أ.د. القرضاوى .

الهنداميـة المتعـارفة لدى العمـوم !!! وفى البروز بلحاف يـكاد يكتسى صبـغة الزى الطائفى !! المنافى لروح العصـر !! وسنة التطور السليم!! والتعبير من خلال ذلك عن سلوك شاذ !! » [1] .

انظر أخي المسلم الزى الشرعى « الحجـاب » أصبح سلوكًا شاذًا ، لأنه يمثل صبـغة طائفية « أى شكل طـائفى » ، وهل القبعة الغـربية لا تمثل صبغـة طائفية ، والسارى الهندى ، والبدله الغـربية؟!! لقد وصل التـخلى عن الإسلام وتعـاليمـه فى تونس مرحلة لا يقـبلها عـقل وأى عقل؟!

المنشـور ٢٩ : يقضى بإلغـاء جميع المصـليات والمساجـد بالدوائر الخاصـة والعموميـة بما فى ذلك مساجد الجـامعات والمعاهد والسـجون والمستـشفيـات والموانىء والمصانع والإدارات . . . الفـصل ٥ من قانون المسـاجد : يحظر القـيام بالدروس والإمـلاءات القرآنيـة فى المسـاجد، وتوقيع عقوبات مشددة على المخالفين » [2] .

ومع حرب هذه القوانين للإسلام يتغنى بهـا دعاة التحرر !!! وقد تحرقنا الدهـشة فى سكون إذا علمنا أن فى مـصر أيضا قـوانين وضعـية يمكن وصفـها « بالوضعـية » تشجع على الفـجور والزنى « م ٣٧٢ من قـانون العـقوبات : لا يجـوز مـحـاكمـة الزانيـة إلا بناء على دعـوى

(١) المرجع السابق ص١٤٨ ـ ١٥٠ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ص١٥٢ بتصرف.

زوجها . . .

م٢٧٤ : « المرأة المتزوجة التى ثبت زناها يحكم عليها بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين ، لكن لزوجها أن يوقف تنفيذ هذا الحكم برضائه معاشرتها . . .

وبدراسة هاتين المادتين يتضح أنهما لا تتفقان مع أحكام الإسلام المحاربة للزنا ، والتى توجب الرجم للثيب المتزوجة ، والجلد لغير المتزوجة ، باعتبار أن هذا حق للمجتمع وليس للأفراد وبالتالى فليس للزوج حق رفع الحد عنها .

هذا وقد جاء عن م ٩ ق ١٠ بشأن مكافحة الدعارة : « يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر ولا تزيد عن ثلاث سنوات ، وبغرامة لا تقل عن خمسة وعشرين جنيها ولا تزيد عن ثلاثمائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من اعتاد ممارسة الفجور والدعارة» .

ومعنى المادة يوضح أن التحريم « قائم على شرط اعتياد الدعارة أى القيام بالزنى أكثر من مرة ، ومع أكثر من رجل ، كما أن العقوبة ليست من شرع الإسلام » [1] .

وكل هذه القوانين وغيرها أباحت الزنى بالتراضى ولم توجب التحريم والعقوبة إلا علي الزنا بالإكراه « الاغتصاب » ، ومن استعراض ما سبق وهو قليل من كثير تفشت عدواه أكثر الدول الإسلامية ، نقول

(١) انظر كتابنا : تحرير المرأة بين الأديان السماوية ودعاة التحرر .

هل يمكن العودة إلى الدين وأحكام الدين مع بقاء تلك القوانين اللادينية ؟! بالقطع لا ومليار لا ... ولا نتمنى أن يتحقق فينا ما تحقق فى الغرب الذين نسوا الله وشريعته : ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩] .

رابعًا : ضرورة السيطرة على الإعلام وتوظيفه لخدمة الدين

الإعلام ووسائـله : هو أخطر وسيلة لغسل مُخ البشـر ثم زرع ما يُراد فيـه من آفكار مسمومـة أو مبادىء صـحيحة ، وتأثيـر ذلك تعدى الأفراد والجماعات إلى الدول والحضارات ، فالإعلام يمكنه قلب الحقائق وتحويل الباطل حقا والعكس .

والحقيقة أن الإعلام اليوم فاق فى تأثيره عمل الأنبياء ـ وليسامحنى الله فى التعبـير فقد غيـر مفاهيم البشر بالمليـارات ، وللأسف فالإعلام تخصص منذ تطوره الكبير فى هدم الأخلاقيات السامية والمبادىء الرفيعة وبناء صرح واه من الأخلاقيات المنحطة والمبادىء الوضعية ، ومن السُبل المحققـة لذلك الإساءة إلى الأديان ومحاولة نزعهـا من القلوب والقضاء على أحكامها من العقول .

« وأصل لفظ الإعـلام من مـاده عَ لَ مَ وهى تأتـى بمعنى الظهـور والوضـوح ومنها « علـم » أى جبل ، و عَ لِ مَ الشىء بالكـسر يعلمـه علمًا أى عَرَفَهُ ، ورجلُ « علامة » أى « عـالم » جدا والهاء للمبالغة و « استَـعْلَمَـهُ » الخبـر « فأعلمـه » إياه . . ويقال أيضًـا « تَعَلم بمعنى « اعْلم»، قال ابن السكيت : تعلمت أن فلانا خارج أى علمت ».

إذن أصل الإعلام هو التعَلم والإيضـاح والإخبار بالشىء ، إيصال

(١) مختار الصحاح ، طبعة دار المعارف مادة عَلَمَ ص٤٥١ .

المعلومات للغير .

والملاحظ أن الإعلام الآن لم يقتصر دوره على إيصال العلم أو المعلومات ولكن تعددت أنشطته ذلك إلى نشر السفور والفجور ، تحت مسميات عدة منها ، الموضة من ملابس عادية ، وزينة فاجرة متنوعة الأشكال والأنواع من القدم حتى شعر الرأس ، وأيضا الفن من موسيقى وتمثيل وغناء ورقص وغير ذلك مما تعدى المعقول والمقبول إلى الشاذ المنبوذ ، ونظرًا لأن ذلك كله وغيره يتعارض مع تعاليم الأديان فكان لابد من الإساءة إلى الأديان ونبذها إعلاميا ، وتسخير كل وسائل الإعلام المتاحة لتحقيق هذا الغرض .

والواقع أن هذه الجرائم ليست من قبيل الصدفة ، ولكنها تخطيط صهيونى طويل المدى بدأ ببداية ظهور وسائل الاتصال السريعة فى القرن الماضى ومستمرة حتى الآن ، فقد كان من أهداف بروتوكولات حكماء صهيون .

١ ـ الدعوة لنبذ الأديان السماوية والعقائد [١] :

« حيث يؤمن اليهود أنهم شعب الله المختار ، وأن الله هو إلههم فقط وليس لغيرهم ، ولذلك كان دعاة نبذ الأديان والإلحاد والعلمانية هم اليهود ، فماركس هو القائل : « الدين أفيونة الشعوب ، ومبادئه

(١) زكى على السيد أبو غضة : الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة ، ص٨٥ وما يليها ، مكتبة الوفاء بالمنصورة ـ طبعة ٢٠٠٢م.

الاقتصادية الاشتراكية التى تقوم على الغاء الدين من الحياة بأكملها ، وغيره كثيرون وهم يبررون ذلك » لو أن الحرية كانت مؤسسة على العقيدة وخشية الله ، وعلى الأخوة الإنسانية ، نقية من أفكار المساواة التى هى مناقضة مباشرة لقوانين الخلق ، والتى فرضت التسليم ، وأن الناس محكومون بمثل هذا الإيمان سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم « هيئاتهم الدينية » ، وسيعيشون فى هدوء واطمئنان وثقة تحت إرشاد أئمتهم الروحيين ، وسيخضعون لمشيئة الله على الأرض ، وهذا هو السبب الذى يحتم علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية » .

ومن أساليب تحقيق هذا الهدف قولهم فى البروتوكولات :

« لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية ، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنًا ثم الحط من شأن الدين ورجاله والاستهزاء بهما » .

« وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من رجال الدين من الأمميين فى أعين الناس وبذلك نجحنا فى الإضرار برسالتهم التى يمكن أن تكون عقبة فى طريقنا ، وأن نفوذ رجال الدين على الناس يتضاءل يومًا بعد يوم ، اليوم تسود حرية العقيدة فى كل مكان ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية بددا ، انهيارًا تامًا وسيبقى ما هو أيسر علينا التعرف مع الديانات الأخرى ، سنقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير من الحياة ، وسيكون تأثيرهم وبيلاً مسيئا على الناس

حتى أن تعاليمهم سيكون لها مناقض للأثر الذى جرت العادة بأن يكون لهم».

ثم يأتى بعد ذلك دور الإساءة للأديان وعلمائها والدعاية لذلك «سنوجه عناية خاصة إلى الأخطا التاريخية للحكومات الأممية التى عذبت الإنسانية خلال قرون كثيرة النقص فى فهمها أى شىء يوافق السعادة الحقة للحياة الإنسانية ، وبحثها عن الخطط المبهرجة للسعادة الاجتماعية»[1] .

وسيفضح فلاسفتنا كل مساوىء الأديان الأممية ، ولكن لن يحكم أبدًا على دياناتنا من وجهه نظرها الحقة ، أو لن يستطاع لأحد أن يعرفها معرفة شاملة ، إلا شعبنا الخاص الذى لا يخاطر بكشف أسرارها»[2] .

وقد استغلت الآداب فى تحقيق هذه الغاية : « وقد نشرنا فى كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدبا مريضا قذرا يغشى النفوس ، وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب»[3] .

والنتيجة النهائية المرجوة هى حكم العالم :

« حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ـ لن نبيح قيام أى دين غير ديننا ، أى الدين المعترف بوحدانية الله . الذى ارتبط باختياره إيانا

(١ : ٣) البروتوكول الرابع عشر .

كمـا ارتبط به مصـير العالم ، ولهـذا يجب علينا أن نحطم كل عـقائد الإيمان ، وتكون النتيـجة المؤقتة لهذا هى إثمـار ملحدين ، فلن يدخل هنا فى موضوعنا ، ولكنه سيضرب مثـلا للأجيال القادمة التى ستصغى إلى تعاليمنا على دين موسى الذى وكل إلينا واجب إخضاع الأمم تحت أقدامنا وهم يتـوهمون أنه قد مـضى الزمن الذى كانت الديانة فـيه هى الحاكمة .

٢ ـ تملك وسائل الإعلام والتحكم فيها كما وكيفا :

يؤمن اليهود والصهيونية بأن الصحافة والإعلام من الفنون الرئيسية التى تؤدى إلى احـتلال الأمم والتـأثير على سلوك الأفـراد والجمـاعات والحكومات إذا خطط لذلك بعناية وأيضا لكسب المال .

الصحافة التى فى أيدى الحكومة القائمة هى القوة العظيمة التى بها يحصل على توجـيه الناس غير أن الحكومـات لم تعرف كيف تستـعمل هذه القوة بالطريقة الصـحيحة فالصحافـة تبين المطالب الحيوية للناس ، وتعلن شكاوى الشاكين ، وتولد الضجر أحيانا بين الغوغاء [١] .

« فالأدب والصـحافة همـا أعظم قوتين خطيرتين، ولهـذا السبب ستشتـرى حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات « وسائل الـنشر المختلفة» «الدور الذى تلعـبه الصحـافة فى الوقت الحـاضر ؟ إنها تقـوم بتهـييج العواطف الجيـاشة فى الناس ، وأحيانا بإثارة المجادلات الحـزبية الأنانية

(١) البروتوكول الثانى .

التى ربما تكون فارغة ، ظالمة زائفة ومعظم الناس لا يدركون أغراضها الدقيقة أقل إدراك ، إننا سنسرحها وسنقودها بلُجُم حازمة ، وسيكون علينا أيضا أن نظفر بإدارة شركات النشر الأخرى ، فلن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الدورية بينما لا تزال عرضة لهجمات النشرات والكتب، وسنحول إنتاج النشر الغالى فى الوقت الحاضر موردا من موارد الثروة والربح لحكومتنا » (١) .

والتحكم فى الصحافة ودور النشر ورجالهم سيمكن اليهود من التحكم فيما ينشر من عدمه ، من أخبار ووقائع ، وثقافات ، ثم تؤول وتفسر وفق مشيئتهم ومصالحهم .

« ولن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر على إدارتنا. فالأخبار تتسلمها وكالات قليلة . . ولن ننشر إلا ما نختار نحن التصريح به من أخبار . . . والقنوات التى يجد فيها التفكير الإنسانى ترجمانا له ستكون خالصة فى أيدى حكومتنا التى ستتخذها هى نفسها وسيلة تربوية . . نحن أنفسنا سننشر كتبا رخيصة الثمن كى نعلم العامة ونوجه عقولها فى الاتجاهات التى ترغب فيها » (٢) .

---

(١) البروتوكول الثانى عشر .

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون ، ص٢١٧ ـ ٢١٩ البروتوكول الثانى عشر ، ويلاحظ تيقن ذلك حرفيا فكل وكالات الأنباء العالمية ومحطات التليفزيون ودور النشر العالمية وكبار الكتاب ملك لليهود ، وأيضا أقمار الاتصالات الصناعية ومراكز إنتاج الأفلام والمخرجين والأبطال العالميين كلهم يهود ويعملون تحت إمرتهم .

٣ ـ السيطرة المالية والاقتصادية على العالم بأسره :

فهم أصحاب أغلب البنوك وبيوت المال فى العالم ، وأصحاب الشركات العالمية فى كل مجال بداية بشركات العطور ومواد التجميل ، إلى تجارة السلاح مروراً بتجارة الأدوية ، والمخصبات الزراعية وتجارة الجنس ، الملاهى الليلية . علم وتجارة القمار تجارة المخدرات ، تجارة الذهب والماس والأحجار الكريمة . وهم ملاك المناجم وأصحاب السيطرة عليها ، أصحاب الموضة وبيوت الأزياء ، صناعة وتجارة السيارات والطائرات وغيرها .

٤ ـ السيطرة الثقافية والإعلامية :

فهم أصحاب وتجار صناعة السينما ، ودور النشر العالمية ، ووكالات الأنباء العالمية ، والمحطات الفضائية الكبرى ، والنظريات الثقافية المبتكرة وشركات الإعلام والإعلان .

٥ ـ السيطرة السياسية والعسكرية والتأثير على متخذى القرار الكبار:

فاللوبى اليهودى فى أمريكا هو المحدد الأول للسياسة الأمريكية وأيضا فى أوروبا وفرنسا وألمانيا وجميع دول العالم .

ويوضح « بول فندى » تأثير الساسة الإسرائيليين على اتخاذ القرار فى أمريكا فيقول : « إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلى على السياسة الخارجية الأمريكية فى الشرق الأوسط يفوق بكثير تأثيره فى بلاده

ذاتها».

وفى صحيفة واشنطن بوست ١٠/٦/١٩٨١م جاء فى مقال عن تأثير اليهود فى اختيار الرئيس الأمريكى :

« وفى عام ١٩٧٦م حصل كارتر على أصوات ٦٨٪ من اليهود ولكنه لم يحصل فى عام ١٩٨٠م إلا على ٤٥٪ منها لأنه قام خلال هذه الفترة ببيع شحنة طائرات طراز « إف ١٥ » لمصر ، وشحنة طراز « OX» للسعودية ، ورغم تأكيده على أن هذه الطائرات لن تستخدم أبدا ضد إسرائيل وأن الجيش الأمريكى يقراقب ويدير نظم تشغيلها من الأرض ، وقد تفوق ريجان فى المعركة الانتخابية عام ١٩٨٠م .. وأعطى إسرائيل ٦٠٠ مليون دولار مساعدات خلال سنتين » [١] .

ومن الجدير بالذكر أن هذه القوة ليست وليدة اليوم ولكنها سياسة دائمة وثابتة منذ عهد بعيد ، ويقول « هرتزل » فى رسالته إلى «سيسيل روديس» [٢] : « لدينا منظمات بكل لغات الحضارات ووجودنا ضرورى وحتمى ولا تستطيع أى حكومة أن تقف ضدنا ، حتى الحكومة الروسية، وفى إنجلترا لدينا الكثير من الأصدقاء المسيحيين ، وفى الكنيسة وفى الصحافة ، وفى مجلس العموم وعد ٣٧ عضوا بمساندة

(١) روجيه جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص٩٢ دار الشروق بالقاهرة.

(٢) تاجر استعمارى استطاع إنشاء شركة امتيازات خاصة وسميت دولة إفريقية فى الجنوب باسمه « روديسيا » وطبعا يهودى الأصل .

الصهيونية»[١].

فلا عجب أن تنساق السياسة العالمية لرغبات وأهواء وصالح اليهود، فهم وراء كل حرب ودمار ، هم أساس كل مبدأ هدام ، وهم مغتصبو خيرات الشعوب ، ومحتقروا الأديان والعقائد السماوية وغيرها وأساس التفرقة العنصرية وهضم حقوق الإنسان ، وأصل كل كذب ورياء فالظاهر مضىء والباطن مظلم حقير وباختصار كل فجور ورذيلة أمامه وخلفه وحوله وأسفله يهودى .

وعلى ذلك لو أراد العالم مقاومة أفكار ومبادىء دعاة التحرر الهدامة والتى هى مرآة للفكر اليهودى العنصرى الصهيونى وليس الفكر الدينى المعتدل ، فلابد من إعادة التحكم فى وسائل الإعلام والإعلان والفنون.

وقد أوضح الله عز وجل أهمية إبلاغ رسالاته والإعلان والإعلام بها لجميع أنبيائه فقال فى التوراة لموسى ـ عليه السلام ـ آمراً إياه تبليغ رسالته « (١٤) فقال الله لموسى « أهيه الذى أهيه ، وقال: هكذا تقول لبنى إسرائيل : أهيه « الله» أرسلنى إليكم ، (١٥) » وقال الله أيضا لموسى : « هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلنى إليكم » [الخروج :٣ : ١٤ ـ ١٥] وقال عن مضمون الرسالة الإعلامية الإلهية :

---

(١) محاكمة جاروري : دار الشرق بالقاهرة ص٢٨ .

« ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا [(١)] : « انا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر (٣) لا يكن لك آلهة أخرى أمامى (٤) لا تضع لك تمثالاً منحوتًا » [الخروج: ١ ـ٤] .

وقد أبلغ موسى ـ عليه السلام ـ الرسالة لقومه : « والآن أصغوا يا بنى إسـرائيل إلى الشـرائع والأحكام التى أعلمـهـا لكم لتعـملوا بهـا فتحيوا. . . (٦) فاحفظوها واعملوا بها » [التثنية ٤ : ١ ، ٦] .

هذا وقـد أعطى له موسى التـوراة الأصلية المكتـوبة : « ثم أعطى الله موسى . . . لوحى الشهادة ، لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله»[(٢)] [خروج ٣١ : ١٨] .

إذن أعلم الله موسى وكلمـه وأوصله رسائله مسمـوعة أولاً ، ثم مكتوبة لتقرأ وتحـفظ ، وهى رسالة بر وتقوى وليست فجور ومـعصية ـ كرسالات دعاة التحرر ـ ثم أبلغها موسى ـ عليه السلام ـ لقومه وأمرهم بحفظها والعمل بهـا . وجاء عنه بالقرآن الكريم : ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ . وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤، ١٤٥].

---

(١) محاكمة جاروى ، دار الشروق بالقاهرة ، ص ٢٨ .

(٢) هذه أطلق عليـهـا الله فى القـرآن الكريم « الألواح » وهى التـوراة الأصلية حـسب المفهوم الإسلامى .

وهكذا كانت رسالات كل الرسل وإن لم تكن لهم كتب [١] :

فها هو نوح يبعث رسالة إعلامية لقومه فيقول:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢] وهذا هود ـ عليه السلام ـ يقول لقومه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٧ ، ٦٨] .

هذا وقد كانت أغرب وسيلة إعلامية منذ آلاف السنين تعدت الموطت إلى موطن آخر وحضارة أخرى « نظام العولمة » تلك التى قام بها هدهد سليمان عليه السلام ، لدعوة بلقيس بأمر من نبى الله الذى أمره قائلاً : ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٧] .

هذا وقد أمر الله جل وعلا رسوله الكريم ﷺ : « بالدعوة إليه فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥ ، ٤٦] .

كما أمره بضرورة إبلاغ الرسالة أى إيصالها دون تقصير فقال العلى

---

(١) الكتب السماوية ـ حسب المفهوم الإسلامى ـ التوراة ـ الإنجيل ـ القرآن الكريم إضافة إلى : صحف إبراهيم وموسى « التوراة » ، الزبور .

القدير : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] .

ورسالة الرسول ﷺ هى رسالة إصلاح وطهارة وليست رسالة إفساد ونجاسة ، كرسالات دعاة التحرر الغير دينى ، وهى رسالة إلهية منحة وهدية ومنَة : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران :١٦٤] .

وهى رسالة للناس كلهم فى مشارق الأرض ومغاربها : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الاعراف:١٥٨] وقد أمر المؤمنين بسائر الأديان باتباع شريعة الإسلام : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الاعراف:١٥٧] .

إذن مهمتنا كمسلمين هى السيطرة على وسائل الإعلام والإعلان والدعوة إلى دين الله وهو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران :١٩] فهو الدين الحق الذى يأمر بمكارم الأخلاق ، وإعزاز وإكرام المرأة وحفظ عرضها وصيانة شرفها وأيضًا إعزاز الرجل وحفظ شرفه لأنه دين الحق وما دونه الباطل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان : ٣٠] .

ولو أطعنا الدعوات الفاجرة لعم الفساد وزاد : ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:٧١].

وهم يدعون بلا علم ولا تبصر ولا بصيرة ، ولكن التفكير الأعمى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم :٢٨] .

والأمر مفروض لله ورسوله وللمسلمين : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية :١٨] اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا الوارثين الممكنين فى الأرض حتى ندعوا إليك: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١] .

المبحث الثالث

إعادة آداب الحجاب كما جاءت بالأديان

توطئة :

بعد استعراضنا لآداب الحجاب فى الأديان السماوية مفصلة ، وما وصل إليه العالم أجمع شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا ، من بلايا وأمراض شملت كل مناحى الحياة ، من اقتصادية واجتماعية وأخلاقية وصحية ودينية ، فلابد أن يتعاون رجال الدين ، كل دين ، ورجال الاجتماع ، ورجال القانون ، والمفكرون فى البلاد الغير دينية ، وذلك الأخطبوط المخيف العنيف الذى يسمى بالإعلام ، كل أولئك يجب أن يتعاونوا معا، لإعادة تنظيم الحياة الإجتماعية للمرأة ، باعتبارها هى أساس المجتمع ، بما يتوافق مع أحكام الأديان كل حسب إيمانه ومعتقده ، ويجب أن يشمل ذلك الآداب الآتية :

أولاً : آداب الملبس « الزى » وإبداء الزينة .

ثانيًا : آداب عمل المرأة .

ثالثًا : آداب الاختلاط .

مع مراعاة أن كل أدب أو حكم شرعى يرتبط بالآخر ارتباط السوار بالمعصم ، فإن اعتصمنا بأوامر الله ، فسيعود العالم بأسره لحلم كبير

وعظيم وسام وهو عودة السكن والمودة والرحمة للبيوت ، والقضاء على البطالة ـ إلى حد ما للذكور ـ وعودة الأخلاقيات الرفيعة من بعد سُبات للوجود .

أولاً : آداب الملبس « الزى » وإبداء الزينة:

يستمر دعاة التحرر بالمبالغة فى إظهار العورات وإبداء الزينة الطاغية للنساء ، ويرون فى ذلك حرية شخصية للمرأة ، لا يجب المساس بها أو الإشارة إليها باعتبارها من الحقوق الإنسانية ، فالمرأة حرة فى جسدها تظهر منه ما تشاء وتخفى منه ما ترغب ، والواقع أن جسد المرأة ليس ملكها لها ولكنه ملك لخالقها ، ودليل ذلك أنه يستطيع سلب هذا الجسد منها متى شاء فيدفن فى التراب ويرجع لأصله وهو التراب.

ومن الحقائق أن إبداء الزينة ومنها الملبس قد تضمنتها الكتب السماوية الثلاث ومع ذلك فقد ابتعد الجميع عنها باسم حرية المرأة وتحت شعار الموضة وفى ظل مفهوم التحضر ، تخرج المرأة حاليا مسفرة الوجه ، ملونة كل جزء فيه وكأنه لوحة زيتية ، فالعيون لها لون والجفون لها آخر ، والخدود لها ألوان ، والشفاه متنوعة الأشكال مختلفة الأصباغ حتى إنها غطيت باللون البنى والأسود !! وقد تعدى سُعار الزينة التزين بالأصباغ ، فأصبح بإجراء الجراحات التجميلية التى تغير شكل العيون والأجفان وتملء الخدود بالمواد الصناعية لتبرز استدارتها . وقد نهى الله عز وجل عن ذلك فقال : ﴿إِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ

اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٧-١١٩] .

أما عن الشعر ، فسادت الباروكات والوصلات واخترع المزيد من الألوان ، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك فقال : « لعن الله الواصلة والموصلة» الحديث متفق عليه .

والأغرب والأعجب والأحط القيام بجراحات لا لزيادة حجم واستدارة النهود ، ولكن إجراء جراحات لإزالة اللحم من بين الأفخاذ لإظهار العورات وتجسيمها وتجسيدها . وكأن المرأة تقول: انظروا يا رجال لما خفى منى ، قد أظهرته لكم لتعلموا مواهبى وتعلموا إباحيتى. وكذا بالنسبة للمقعدة وأجزاء الجسد الخلفية .

أما بالنسبة للزى والملبس ، فلم تعد النساء تراعى فيه أحكام أى دين أو حتى خلق قويم عفيف ، فساد العرى كافة الأجزاء ، ولم تستح الكثير من النساء وأقول الغالبية العظمى من إظهار الذراع وتحت الإبط بما فيه من شعر والرقبة والأكتاف والظهر حتى الصدر « النهدين » بكاملهما تقريبا « والموضه الآن اظهار منطقة الوسط بما فيها السُرة ناهبك عن قصر الملابس حتى ظهرت الملابس الداخلية التى تغطى ينبوع الحياة والحياء إلى العيان . فلم يعد الحياء خُلقًا وستر الجسد فضيلة.

أما من ادعى الحشمة والوقار فقد ارتدى البدل من بنطلون وجاكت والتى كانت تستر أجساد النساء ، فالجيب الطويل والبنطلون الواسع

يستر العـورات ويحمى أجساد النساء من تهافت العـيون ، وما لبث أن قصـر الجيب أو الجاكت وضاق البنطلون حـتى أظهر ما فُرض سـتره ، وتم اختراع مـوضات لتفاصيل مـلابس تظهر عورة المرأة كأنها مـجسدة تنادى كل راغب وتدعو كل طالـب للاشتهاء بالنـظر أو الزنى بالتراضى أو الاغتصاب .

كل ذلك وغيره أدى إلى فسـاد الشباب من الجنسين وزيادة حالات الزنا بأنواعه والاغتصاب ومشاكله وآثامه والواقع أن المسؤولية على المرأة لا تنكر ، فالسفـور والفجور والتبرج وإبداء الزينة والمغالاة فـيها تقليداً للراقـصات والممـثـلات الذين أطلق عليـهن لقب النجـوم ومعظمـهن عـاهرات ، وللمـذيعـات فى وسـائل الإعـلام المرئيـة بالذات واللاتى أصبحن ـ إلا القليل ـ كالراقصات ، أدى إلى هياج الشباب وعدم ضبط النفس .

« يقول الأديب الكبـير مصطفى الرافـعى : « إذا كنت أعاقب من يغازل البنات مرة ، فأنا أعاقب الفتـاة مرتين لأنها كشفت اللحم للقط» ثم ما ذنب ذلك الذى تزوج بامرأة ليـست على قدر من الجمال أن يرى أمامه امرأة متكشفة باستمرار أكثر من تكشف زوجته أمامه ترى ألا يؤثر ذلك على معاملته لزوجته فيزهد بها ويفتر حبه لها وينعكس هذا الشعور على علاقتـه بها ، ما ذنب تلك الإنسانة أن يُحرض زوجهـا عليها عن غير قصد فينغص عليها مـعيشتها ، ثم ما ذنب أولئك المقلدات اللواتى يتطلعن لتـقليد من يعـجبن بمظهـرهن فينزلقن من أول الطريـق وصدق

رسول الله ﷺ إذ يقـول : « من سن سنة سيئة فـعليه وزرها ووزر من عمل بهـا إلى يوم القيامـة » إذن فالنتيجـة العلمية للقـاء الجنسين الشد والجذب نظرة فـابتسامـة فسلام فكلام فـموعد فلقـاء والنظرة سهم من سهام إبليس وسهام إبليس صائبـة حذرنا منها الله ورسوله قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣٥] ، فإذا تهاون النساء فـى الحجاب والاحـتشام قـل حياؤهن وازداد اسـتهـتارهن وزاد الطامعون بهن والمطاردون لهن غلظة ووقاحة وسـفاهة . ولقد ساعدت برامج التلفزيون على إتقان صناعة الغزل ومعاكسة الفتيات فساهمت فى انتشار الفساد وشيوع الفاحشة وإنا لله وإنا إليه راجعون »[1] .

هذا وقـد أوضح العمـيد حـسن العـادلى مدير مكافـحة الجـرائم بالجيزة: « إن السبب فى انتشار المعـاكسات هو التيارات الفكرية الواردة من الخـارج وانتشـار أفلام الفـيديو ونوادى الديسكو والرقـص وعرض الأفلام الخليعة والحالة الاقتصادية التى تسبب إحجام الشباب عن الزواج ونقص الوازع الدينى وضعف العلاقة بين الآباء والأبناء .

وتشترك الفـتيات فى المسؤولية بسـبب مبالغتهن فى الماكـياج وعدم

(١) محمد سعيد المبيض : إلى غير المحـجبات أولاً ص٤٢ ـ دار الثقافة بالدوحة ـ الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

الالتزام بالزى والسلوك المحتشم وتشجيع الشباب بالنظرات والكلمات الجريئة » (١) .

هذا وقد آمن الغرب بضرورة التحجب .

قال مدير مركز البحوث بجامعة هارفرد تحت عنوان الثورة الجنسية: « إن أمريكا سائرة إلى كارثة فى الفوضوية الجنسية وإنها تتجه إلى نفس الاتجاه الذى أدى إلى سقوط الحضارتين الإغريقية والرومانية فى الزمن القديم .

وفى عام ١٩٦٢م صرح الزعيم الشيوعى خروتشوف مع أنه لا يؤمن بالفضيلة ولا بحجاب المرأة قائلاً : إن الشباب قد انحرف وأخذه الترف وهدد بأن معسكرات جديدة قد تفتح فى سيبيريا للتخلص من الشباب المنحرف لأنه خطر على مستقبل روسيا .

ورد فى جريدة الشرق الأوسط العدد ٢٠٨٦ ـ ١٤ / ٧/ ١٩٨٤، إن أكثر من ثلث مواليد عام ١٩٨٣ فى نيويورك والبالغ عددهم ١١٢٣٥٣ ، أطفال غير شرعيين وإن أكثرهم ولدوا من بنات لم يتجاوزن التاسعة عشرة .

وفى السويد خرجت النساء السويديات فى مظاهرة ضمت مائة ألف امرأة احتجاجًا على إطلاق الحريات الجنسية بعد أن شاهدت الحالة المتردية التى وصلت إليها المرأة المتحررة ترى ما الباعث إلى هذا الإغراق

---

(١) المرجع السابق ص٤٣ .

فى التكشف والإفراط فى التجمل والتأنق غير حرص المرأة على أن تبدو جـميلة فى أعين الرجـال لتنتـزع منهم كلمـات الاستـحسـان ونظرات الإعجاب ورحم الله الشاعر إذ يقول :

خدعوها بقولهم حسناء   والغوانى يغرهن الثناء

قد يقـول قائل بل لتظهر أمـام النساء بمظهر حسن إذًا فـأقول : إن كان كذلـك فلتستتـر من الرجال فى الشارع والمعمل والمتنـزهات وتظهر زينتها لقريناتها فى البيوت وما دامت تظهر جمالها ومفاتنها للرجال فهى مهتمة بإثارتهم وكسب إعجابهـم ، وهذا لا يتأتى من امرأة تحترم نفسها وترعى حقوق زوجها وإلا فما معنى هذا الإغراق فى التأنق والزينة .

فلو التزمت المرأة المسلمة بلباس المسلمات ، لما احتاجت لأن تظهر مفاتنها المثيرة وقدها الأهيف وخـصرها النحيل ولما شجعت الرجال على التحدث إليها والتصنع معها والخلوة بها .

فحذرا يا أختى المـسلمة من التهاون بأمر الحجـاب فالانحراف يبدأ صغيـراً ثم يكبر ومعظم النار من مسـتصغر الشـرر لأنك إن سرت بهذا الطريق جررت غيـرك إليه ، وشجعت الطائشات لـسلوكه فإذا ثبت إلى رشدك قد تعودين وحدك ولكنه يصعب عليك أن تعيدى مجتمعًا بأسره وقد انحدر إلى الرذيلة وتاه فى دروب الفـساد وبات خطره عليك وعلى التقيـات منكن عظيمًا وإن شئت أن تسـمعى إلى ما وصل إليه مـجتمع التفلت والاستهتار والتكشف والحرية الجنسية فى الغرب ، فاسمعى إلى

أقوال المصلحين والعلماء من أبناء ذلك المجتمع »[1] .

إن الاستقامة مطلوبة للصلاح فى الدنيا والفلاح فى الآخرة : ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾[الجن: ١٦] .

(١) المرجع السابق ص٤٣ ـ ٤٥ .

ثانيًا : آداب عمل المرأة خارج بيتها « للضرورة »

تؤمن الأديان السماوية الثلاث وكذلك العقائد والقوانين الغير سماوية بأن المرأة خلقت بوظيفة أساسية هى الزوجة والأم ، وقد اختصها الخالق بأجهزة جسمية تناسلية لتحقيق هذا الغرض ، كما منحها خواص خاصة تنفرد بها عن الرجال وتسموا بها عنهم ، ألا وهى الصبر والبر والرحمة والحنان وغير ذلك مما يلزم لرعاية النشء وإعمار الأرض.

ونتيجة للدعوات الشاذة المسعورة لتحرير المرأة ، وتحت مفهوم المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، ومن خلال شبح مخيف أطلق عليه «إزالة كل أشكال التميز ضد المرأة » تم توظيف النساء فى أعمال ليست لهن ولا تناسب أنوثتهن وإن نجحن فيها ولكن على حساب الفشل في الوظيفة الأساسية وهى الزوجة والأم ، كما يتم توظيف النساء بدلاً من الرجال ، فى أعمال ووظائف ؛ الرجل أحق بالعمل بها من المرأة ، لأن الأصل فى كل الأديان والأعراف أن تشارك المرأة فى التنمية عند الضرورة كعمل إضافى بشرط ألا يشغلها عن وظيفتها التى خلقت لها.

وقد أوضحت التوراة أن مهمة المرأة الأولى هى العمل داخل بيتها، فجاء بها » [1] .

* المرأة معينة للرجل أى مساعدة عند الضرورة « سأصنع «أى الله»

(١) انظر كتابنا : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ، دار الوفاء بالمنصورة .

له « الآدم» معينا مشابها له » [التكوين ٢ : ١٨] .

* المرأة مهمتها : الزوجة والأم : « . . . أكثر تكثيرا أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولاداً ، وإلى زوجك يكون اشتياقك ، وهو يتسلط عليك » أى له حق الأمر » [التكوين٣:١٦] .

* مهمة الرجل هى الكد والسعى والشقاء والعمل « بعرق جبينك تكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض ، فمن تراب أخذت وإلى تراب تعود» [التكوين٢:١٩] .

فالفقرة السابقة توضح بجلاء أن مهمة الرجل هى العمل طوال حياته هذا وقد أوضحت التوراة عمل النساء فيما يناسبهن من أعمال لإعانة الرجال عند الضرورة وليس لاغتصاب فرص العمل منهن فجاء بها .

* عملت راحيل أم يوسف ـ عليه السلام ـ راعية للغنم « وفيما هو يكلمهم « يعقوب » أقبلت راحيل مع غنم أبيها ، لأنها كانت راعية غنم» [التكوين ٢٩ : ٩] .

* عملت راعوث « اسم امرأة » فى جمع المحاصيل « . . . . امكثى هنا لتلتقطى السنابل ولا تذهبى لحقل آخر ، ولازمى فتياتى العاملات فيه» [راعوث ٢ : ٨] .

* عملت المرأة كنبية [١] وقاضية « وكانت دبورة . . . امرأة نبية

(١) يقصد بنبية : صاحبة تنبؤ أى تعلم الغيب من عند الله وليست صاحبة رسالة سماوية.

وقاضية لإسرائيل » [القضاة ٤ : ٤] .

* المرأة عملت كمساعدة للأنبياء ، فقد كان النبى « اليشع» يتردد على نزل امرأة غنية فى بلدة تسمى « شوغ » ولكن المرأة اقترحت على زوجها « فلنبن له عُلية « دوراً ثانيًا » صغيرة على سطح البيت... فيبيت كلما مر بنا » [٢ملوك ٤ : ٩] .

* عملت المرأة كملكة « ولكنها فشلت ، علمت « عثليا » اسم امرأة ، أم أخزيا الملك بقتل ولدها ، فأبادت منافسيه واستولت على العرش « وكانت عثليا فى أثنائها ـ ست سنوات ـ متربعة على عرش يهوذا» [1] [٢ملوك ١١ : ٣] .

والأمر لم يختلف فى المسيحية حيث آمنت بما جاء فى التوراة كما أوضحت بجلاء أن وظيفة المرأة الأولى هى الزوجة والأم فجاءت فى وصية بولس وصيته للأرامل ومنها « معلمات لما هو صالح(٤) لكى يدربن الشابات على أن يكن محبات لأزواجهن ولأولادهن (٥) متعقلات عفيفات مهتمات بشؤون بيوتهن صالحات خاضعات لأزواجهن» [تيطس ٢ : ٣ ـ ٥] .

* المرأة كخادمة للكنيسة « الدعوة إلى الله » : « وأوصيكم بفيبى أختنا الخادمة فى كنيسة تنخريا » [رومية ١٦ : ١] .

* المسيحية لم تجز تعليم أو رئاسة النساء للرجال نهائيا « لست

---

(١) انقسم اليهود إلى مملكتين هما : يهوذا ، وأورشليم .

أسمح للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل » [١ تيموثاوس٢ : ١٢].

أما فى الإسلام فلا هناك خلاف عن اليهودية والمسيحية فى اعتبار المهمة الأولى للمرأة هى الزوجة والأم أى العمل بالبيت ، ويجوز العمل خارجه وفقا لضوابط معينة وبشروط خاصة .

إذن لقد اتفقت الأديان السماوية الثلاثة على أن أصل عمل ووظيفة المرأة هو البيت أولا ، ولا استثناء إلا لضرورة ، وإذا لم يصلح عمل المرأة بالبيت لفسدت الأمم ، فالمرأة الصالحة فى منزلها هى معيار ومرآة تقدم الأمم ، يقول تعالى : ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق] (١) .

وقد نسب الله تبارك وتعالى البيوت للنساء ، فقال ﴿بُيُوتِهِنَّ﴾ ليوضح أن المرأة هى البيت والسكن وأنه لا فلاح لبيت بلا امرأة صالحة فيه ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الاحزاب:٣٣] كما قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [النحل:٨٠] وقد فضل رسول الله ﷺ عمل المرأة فى المنزل عن الجهاد فى سبيل الله ؛ أتت أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ـ خطيبة النساء ـ النبى ﷺ وهو فى أصحابه فقالت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله . أنا وافدة النساء

(١) الآية وردت عن عدم إخراج النساء إذا طلقن طلاقًا رجعيا ، فمن الأولى الاستشهاد بها فى حالة الوفاق .

إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلاهك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا فى : الجمع ، والجماعات ، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل ، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًا أو مجاهدًا حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفلا نشارككم فى هذا الأجر ؟ فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : « هل سمعتم بمقالة امرأة قط أحسن من مسائلها فى أمر دينها من هذه ؟ » فقالوا : يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا فالتفت النبى ﷺ إليها فقال : « افهمى أيتها المرأة واعلمى من خلفك من النساء إن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله » فانصرفت وهى تهلل (١) .

ولا شك أن عمل المرأة فى بيتها أهم من الجهاد ، فالجهاد له دواعيه ورجاله وهو ليس فى كل وقت ، أما وظيفة المرأة فى منزلها فهى فى كل لحيظة « تصغير لحظة » وهى المهمة التى أعدها لها ومنحها من المزايا الجسدية والنفسية مالم يؤته الرجل .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله : ومن الطبيعى أن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور للبيهقى ٢/ ١٥٣ ، وذكره ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق الكبير ٧/ ٤٤ .

يكون للمرأة تكوين عاطفى خاص لا يشبه تكوين الرجل ، لأن ملازمة الطفل الوليد لا تنتهى بمناولة الثدى وإرضاعه ، بل لابد معها من تعهد دائم ومجاوبة شعورية تستدعى شيئا كثيرا من التناسب بين مزاجها ومزاجه ، وبين فهمها وفهمه ومدارج حسه وعطفه ، وهذه حالة من حالات الأنوثة شوهدت كثيرا فى أطوار حياتها ، من صباها الباكر إلى شيخوختها العالية ، فلا تخلو من مشابهة للطفل فى الرضا والغضب، وفى التدليل والمجافاة ، وفى حب الولاية والحدب ممن يعاملها ، ولو كان فى مثل سنها أو سن أبنائها ، وليس هذا الخلق مما تصطنعه المرأة أو تتركه باختيارها ، إذ كانت حضانة الأطفال تتمة للرضاع تقترن فيها أدواته النفسية بأدواته الجسدية .

ولا شك أن الخلائق الضرورية للحضانة وتعهد الأطفال أصل من أصول اللين الأنثوى الذى جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة ، ويصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكيم العقل وتقليب الرأى وصلابة العزيمة (١) .

مهام المرأة فى بيتها وطبيعة عملها :

١ ـ أن تكون زوجة صالحة :

أوجز القرآن الكريم مزايا الزوجة الصالحة فى آيات كثيرة ، نذكر

(١) الشيخ محمد الغزالى : قضايا المرأة ص١١٧ .

منها آية واحدة فيها أسمى غاية من غايات الزواج : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

إن الله جعل العلاقة الزوجية الحميمة ، الكاملة بما فيها من سكن ومودة ورحمة « معجزة » ؛ ليوضح أن تحقيق ذلك صعب المنال إلا بالتربية السليمة ﴿وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران : ٣٧] .

٢ ـ أن تكون مستعدة للإنجاب وإرضاء زوجها :

إن المرأة هى أساس الذرية فى الأرض ، فالرجل واضع البذرة والمرأة التربة الصالحة التى تتقبلها وتحتضنها وتنميها وتخرجها للوجود : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] ، والآية توضح أيضا الحق الكامل المتبادل فى الاستمتاع الجنسى والمعاشرة .

٣ ـ رعاية الأطفال من رضاعة وحماية وغيره :

إن هذه المهمة المحببة إلى قلوب النساء وهى غاية مناهم منذ الصغر، فالبنت الصغيرة تلعب بعروستها وتمشطها وتحميها وتحتضنها كأنها بنتها فى الكبر ، وذلك من الفطرة وطبيعة المرأة ، ولو اجتمع العشرات من الرجال لما استطاعوا القيام بهذا الأمر كالمرأة ، يقول تعالى موضحا مشقة هذا العمل : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] .

كما يقول جل شأنه : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

[البقرة: ٢٣٣] ، كما يقول : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ [الاحقاف: ١٥] والآيات توضح مدة الحمل والولادة والرضاعة الطويلة ، وما فيها من مشقة .

٤ ـ إدارة شؤون المنزل المختلفة :

يقول الرسول ﷺ : « والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهى مسؤولة عنهم » (١) .

ضمانات عمل المرأة فى بيتها :

ما دامت المرأة ملتزمة بيت زوجها وتشاركه السكن والمود والرحمة وتربية الذرية الصالحة ، فلابد لها من التفرغ لذلك ، وعلى هذا أوجب الإسلام لها حقوقًا على زوجها :

١ ـ حق المهر : وهو مبلغ مالي أو مادي يدفع للمرأة لتأمين حياتها وهو مقدم ومؤخر : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤] .

٢ ـ حق النفقة : يقول تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] فوجوب النفقة على الرجال حتى إن كانت الزوجة فى سعة .

٣ ـ حق المعاشرة بالمعروف : يقول تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ

(١) رواه البخارى .

بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩] ، وكلمة المعروف ، تبين منتهى الأخلاق القويمة من بر وسماحة ، وكل ما يتعارف أصحاب المروءة على حسنه .

٤ ـ حق تعاون الرجل مع زوجته فى أعمال البيت :

رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة فى كل شىء ، فكان فى بيته يفلى ثوبه ويحلب شاته ، ويخدم نفسه ، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة.

٥ ـ الإعفاء من بعض الفرائض فى ظروف خاصة :

نظراً لما تعانيه المرأة من ضعف فى أحوالها الخاصة ، الحيض والنفاس والولادة والرضاعة ، مع التزامها بإدارة شؤون بيتها ، فقد أعفيت ، خلال هذه الظروف من عبادات منها : الصلاة والصيام.

ب ـ عمل المرأة خارج بيتها :

حيث إن البيت هو الأساس وهو مملكة المرأة الدائمة التى تزين عرشها ، فإن عمل المرأة خارج البيت لا يكون إلا لضرورة أو حاجة شديدة .

ونرى أن الضرورات تنقسم إلى قسمين : ضرورة شخصية ، وضرورة شرعية لخدمة أمثالها من النساء .

الضرورة الشخصية :

قد تضطر المرأة للخروج للعمل خارج منزلها لعدم وجود من

يعولهـا ، وربما هى العائلة ، كـشأن امرأة مـات زوجهـا ولم يترك إرثًا وليس أولياء يتكلفون بأسرته . كـذلك لعدم وجود من يقول بالعمل ، وأكبر مثـال على ذلك قصة موسى عليه السـلام عندما ذهب إلى مدين ووجد امرأتين تعملان لرعى وسقاية الأغنـام فقال لهما : ما خطبكما، والخطب هو المصيـبة الكبـيرة أى الكارثة ، فكان الرد مـباشرةً وسـريعًا وقاطعًا : ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٣] ، فأوضحت الآية شروط الاضطرار للعمل وهى:

* الضرورة الملحة والشديدة ـ أغنام لابد من القيام برعيها والراعى الرجل لا يستطيع القيام بذلك لكبر سنه .

* عدم الاخـتلاط فى العـمل بالرجال : ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَـــاءُ﴾ وبالتـالى الحجاب خـارج المنزل فى التصـرف وفى الملبس الشرعى، وفى عدم المزاحمة ، حـتى لا يكون هناك مجال للفتنة ، ولا شك أنهـما قد اسـتأذنتـا من والديهـما فى الخروج لـلعمل ، كـما أن عملهما لا شبهة فيه من حرام أو كراهة.

الضرورة الشرعية :

ونقصد بهـا أن هناك أعمالاً من الأفضل قـيام النساء بها لعلاقـتها بمثلهن ، فمـثلا وجود طبـيبة أنثى للقـيام بولادة أفضل من قـيام رجل بذلك، وتدريس العلم للبنات بـواسطة نساء مثـلهن أفضل خـاصة فى مرحـلة المراهلة وثورة العاطفـة ، ويدخل فى ذلك عمل المـرأة كمربـية

أطفال ، ويمكن أن تعمل حياكة لملابس النساء .. إلخ ، وفى جميع الأحوال يجب مناسبة العمل للمرأة وطبيعة المرأة ووقت المرأة ، وقد أجاز الإسلام العمل للمرأة فى شتى الأعمال ما عدا الإمامة الكبرى أى رئاسة الجمهورية أو الملك ، أما القضاء وتوليه ففيه خلاف فقهى .

ومن ذلك يتضح أن الإسلام أعز وأكرم المرأة فى بيتها ونظم عملها فى خارج بيتها ، بحيث تصان كرامتها ويحافظ على شرفها ، ولا تكون عرضة لذئاب البشر وما أكثرهم .

ومع اتفاق الأديان السماوية الثلاث وكافة الأعراف والقوانين الغير سماوية إلا أن دعاة التحرر لا يعترفون بأن وظيفة المرأة الأولى هى الزوجة والأم ، كما ينكرون ضرورة مناسبة العمل ـ عند الضرورة لطبيعة المرأة كأنثى ، فتقول فريده النقاش :

« وفى التوزيع التقليدى للأدوار الذى تؤكده المؤسسة التعليمية هناك طرف رئيسى هو الرجل ، وطرف ثانوى هى المرأة ، هناك طرف مسيطر بطبيعته وطرف خاضع للسيطرة أيضا بطبيعته ، ويختصر الخطاب المدرسى المرأة فى غالبية نصوصه فى أدوار الأم والزوجة .

أما إذا كانت عاملة فهى مسجونة غالبا فى إطار غرزة الأمومة والأعمال المرتبطة بها ، إما مدرسة أو ممرضة ،نادرًا ما تكون طبيبة»(١) .

---

(١) فريدة النقاش : حدائق النساء ص٨٢ .

وتقول د. نوال السعداوى مؤيدة نفس الفكرة :

« والذين يقولون إن المرأة تجد سعادتها فى أن تكون عالة أو أنها تحقق ذاتها من خلال خدمة الآخرين ، أو أنها فاقدة للطموح الفكرى والخلق لأنها تلد وعملية الولادة إنما هى خلق البشر ، أو أن طبيعة المرأة من حيث الطموح العقلى أقل من طبيعة الرجل ، كل هذه الأقاويل لا تستند إلى منطق أو علم » [١] والأفكار السابقة أثبت الواقع عدم صحتها، ورحم الله الشيخ الغزالى عندما قال : « من الصعب أن تكون المرأة ربة بيت متقنة وصاحبة منصب منتجة » .

إن فريدة النقاش تحاول إيهامنا أن مرجع ضرورة عمل المرأة كزوجة وأم ، أو فيما يناسبها من أعمال يرجع إلى التربية والتعليم وليس إلى أوامر الله الإلهية فى الأديان أو طبيعة المرأة كأنثى ، كما أن د . نوال السعداوى ، تدعى أن الزوجة عالة على زوجها وأسرتها ، كيف تكون عالة وهى أساس الأسرة السليم ، إن الاستهانة بوظيفة المرأة فى بيتها هو عين الاستهانة بالحكمة من الخلق والحياة وإعمار الكون .

لقد أثبت الواقع أن عمل المرأة خارج بيتها واكتسابها الأموال أدى. أن تكون عالة فعلية على المجتمع ، حيث أنها تحصل على أموال كان أحق بالحصول عليها أخ عاطل أو ابن أنهى دراسته الجامعية ويأس من الحصول على عمل ، فلازم البيت ولازمه الفراغ القاتل ، وتمكن منه اليأس من الزواج والاستقرار والحلم بمستقبل مشرق جميل ، فدفعه

(١) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٨٦ .

اليأس إلى الاغتصاب أو الشذوذ الجنسى أو الكبت والإصابة بالأمراض النفسية ، وكم سمعنا من حالات انتحار نتيجة لذلك ، وإذا تفشت البطالة ازدهر معها العنوسة ، فأصبح شباب المجتمع من ذكور وإناث لا أمل لهم فى زواج سعيد ، وربما لجؤوا إلى شذوذ تعيس (١) . . إن الاستهانة بإعداد المرأة لتكون زوجة صالحة وأمًا ومربية فاضلة ، هو أول طريق هدم الأسر ومرض المجتمعات وموت الحضارات ، نحن جميعًا نتباكى على عصر الأمومة الحقة الذى لم يبق منه إلا خيالات من ماضٍ سعيد هانىء افتقدناه ونحلم به الآن . . وهيهات هيهات أن يعود الماضى السعيد ، إلا إذا عادت المرأة لمملكتها الحقيقة وهى البيت ، وكانت الأسرة هى غاية طموحها .

ودعاة التحرر لا يقصدون من خروج المرأة للعمل مساعدة الأسرة والمجتمع كما كان ينادى فى القديم فى بدء الدعوة للتحرر ولكن هدفهم هو خلق اقتصاد خاص بالمرأة أى مصنع مالى يحقق لها حرية التحرر على الرجل والأسرة والسفور والفجور أنى شاءت ، فها هى نوال السعداوى تقول :

« إن خروج الفلاحات للعمل فى الحقول لم يحقق أبدًا للمرأة استقلالها الاقتصادى عن الرجل ، لأن الفلاحة تعمل فى الحقل بغير

---

(١) نقترح حلاً لمشكلة البطالة : الإحالة للمعاش من سن ٥٥ عامًا وليس ٦٠ عامًا وتكفل الدولة بتعيين من لم يعمل من أولاد المتقاعدين أو إخوتهم فى وظائف حكومية .

أجر، فهى تعمل لحساب زوجها وأسـرتها ، وهى تعتمد اقتصاديا على زوجها أو أى رجل آخر في الأسرة ، كذلك فإن عمل المرأة داخل البيت من كنس ونظافة وخدمة أيضا هو عمل بغير أجر » (١) .

والحقيقة أن هدف عمل المرأة واستقلالها المالى ، ليس خدمة المرأة أو الأسـرة أو المجـتـمع ، ولكن هو تغـيـيـر كـافـة الأحكام الدينيـة والاجتماعـية التى تحقق قوامة الرجل على المرأة وحق قـيادته للأسرة ، وقد أوضـحت ذلك د . نوال السـعداوى فقـالت : « لقد اسـتطاعت سلطة الدولة أن تأخـذ من الأب البـدائى كثـيرا مـن سلطته التى كـان يمارسها على النساء داخل أسرتـه ، لهذا تغيرت قوانين الزواج والطلاق فى كثير من المجـتمعات فى العالم ، ساعـد فى ذلك أيضًا تزايد القوى السياسية والاقتصادية للنـساء العاملات . . لقد تم تحريم تعدد الزوجات فى أكثـر بلاد العالم شرقا وغـربا بما فى ذلك بعض البلاد الإسلامـية، كـما تـساوت النسـاء مع الرجـال فى حق الطلاق والحـضـانة والنسب والإرث فى كـثير من الـبلاد ، بعد أن أصـبح الإنفـاق مسؤوليـة المرأة والرجل معًا ، وكان الرجل يرث أكثر من المرأة لأنه كان المسؤول وحده على الإنفاق » (٢) .

انظر أخى المسلم وتعـجب وصـفت الكاتبـة الزوج : « بالأب البدائى» أى اعـتبرت أن حق القـوامة وسائر الأحـكام الشرعيـة المنظمة

(١) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص ٨٦ .

(٢) توأم السـلطة والجنس ص١٦ ، ١٧ .

للعلاقة بين الرجل والمرأة ، تخلف وبدائية .

إن الهدف الرئيسى من عمل المرأة هو هدم الأديان وإلغاء أحكامها، وانحلال الأسر وعدم بنائها ، ومرض المجتمعات وعدم شفائها وموت الحضارات وعدم رقيها وتقدمها .

لقد أثبتت التجارب فى الغرب ما انتهينا إليه .

« نشرت الكاتبة الإنجليزية الشهيرة أنا رود مقالة فى الاسترن ميل قائلة : لأن تشتغل بناتنا فى البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاءً من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتا إلى الأبد . ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهر رداء . الخادمة والرقيق يتنعمان بأرغد عيش ويعاملان كما يعامل أولاد البيت ولا تُمس الاعراض بسوء . نعم إنه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق الطبيعة من القيام بالبيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها » (١) .

« قيل لنابليون : أى حصون فرنسا أمنع ؟ فقال : الأمهات الصالحات .

نشرت مجلة الهلال عدد مارس ١٩٦٥م رأى برناردشو فى عمل المرأة ومفاده :

---

(١) محمد سعيد ميض : إلى غير المحجبات ص ٧٤ .

أما العـمل الذي تنهض به النساء والعمل الذى لا يمكن الاسـتغناء عنه فهو حـمل الأجنة وولادتهم وإرضاعهم وتدبير البـيوت من أجلهم ولكنهن لا يؤجرن عليه بأمـوال نقدية وهذا ما جعل الكثيـر من الحمقى ينسون أنه عـمل على الإطلاق فإذا تحـدثوا عن العمل جـاء ذكر الرجل على لسانهم وأنه هو الكادح وراء الرزق .

إلا أن المرأة تعمل فى البيت وكان عملها فى البيت منذ الأزل عملاً ضروريًـا وحيويًا لـبقاء المجـتمع ووجـوده بينما يشـغل ملايين الـرجال أنفسهم ويبددون أعمالهم فى كثير من الأعمال التافهة » [١] .

« كتب الأديب المصرى الأستاذ أنيس منصور فى جـريدة الأخبار تحت عنوان « مواقف » مـا يلى : ونحن ننظر عادة إلى الـتفرغ للحـياة الزوجـية على أنه ليس عـملاً ومـع أنه فى الحقـيقـة عمل اجـتمـاعى واقتـصادى وتربوى ونفـسى وبعض الدول الأوربية تدفع أجـراً للزوجة لأنها تمكث فى البيت كأستراليا مثلاً . ولن يمضى وقت طويل حتى تجد المرأة نفسهـا أمام هذا الاختيار إما العـمل وإما الطفل ولن تتردد أبداً أن تختار الطفل [٢] .

« يقول الفيلسوف برنارد رسل : إن الأسرة انحلت بسبب استخدام المرأة فى الأعمـال العامـة وأظهر الاختـبار إن المرأة تـتمرد على تقـاليد

---

(١) المرجع السابق ص٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص٥٥ .

الأخلاق المألوفة وتأبى أن تظل أمينة لرجل واحد إذا تحررت اقتصاديًا .
فهل يسرك يا أختى المسلمة أن تصل المرأة العربية المسلمة إلى المستوى التى انحدرت إليه المرأة الأوربية (١) .

« هناك من يدعى أن من الأفضل للمرأة أن تشتغل من أن تكون عالة على من يعولها . هذا منطق مادى وعرف غير إسلامى يسود المجتمعات الرأسمالية والشيوعية فمن لا تعمل لا تأكل ، أما المرأة المسلمة فلا ترى غضاضة على نفسها أن تعيش فى كنف والدها أو أن ينفق عليها أخوها أو يغنيها زوجها مؤونة العمل لأن الرجل مكلف بالإنفاق عليها شرعًا يقول رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت » إنه مجبر بالإنفاق عليها بحكم الشرع فقد منحه الشارع ضعف نصيبها فى الإرث لينفق عليها حين الحاجة أما إذا كان الولى فقيراً فالدولة المسلمة ملزمة بإعالتها وقد أقامت الحكومات المعاصرة وزارة خاصة أسمتها الشؤون الاجتماعية والعمل تسهر على رعاية العاطلين والعاملين والفقراء المحتاجين يقول رسول الله ﷺ : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[الأحزاب:٦] فأيما مؤمن ترك مالاً فلورثته وإن ترك دينًا أو ضياعًا - يعنى عاجزًا عن الكسب . فليأتنى فأنا مولاه » رواه البخارى . ذلك باعتباره رئيس الدولة المسلمة . ومع ذلك فنحن لا ننكر على المرأة المسلمة أن تعمل فيما يوافق طبيعتها كالتعليم والطب

(١) المرجع السابق ص٧٠ .

والخياطة وما شاكلها شريطة أن تلتزم بحجاب المسلمات . وأن لا تظهر زينتـها لأحـد العالمين الأجـانب وأن تمتنع عن الاختـلاط والخلوة بغـير المحارم».

ويمكننا القول : لو أردنا العفة والعذرية والشرف للمرأة ، أن تعود المرأة لبيتها ، ولكن واسفاه تبكى العيون الدم بدلاً من الدموع ، فتحت شعار ومسمى جديد خـادع وهم واهٍ هو « إزالة كل أشكال التميز ضد المرأة سنبدأ فى كافـة البلاد الإسلامية فى إلغـاء أحكام الأديان وستمنح المرأة فرص عـمل بقدر مـا منح الرجال ، وسـتزيد العـنوسة وتتـفاقم مشاكلـها بزيادة عمل النساء وبطالة الرجـال ، وسيلغى نظام الإرث فى الإسلام تحت نفس المفهوم والشعار .

ولا أقول إلا رحماك رحماك يا ربنا ، وقـد اقتربت الساعة والعلم عند الله ، وليس لنا إلا الدعـاء ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الاعـراف:٨٩] ، ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[الكهف: ١٠].

ثالثًا : آداب الاختلاط

يقصد بآداب الاختلاط ، الأسس والمبادئ التى يجب مراعاتها فى العلاقات الاجتماعية وسبل الاتصال بين الذكر والأنثى ، والتى لا تجعل هذه العلاقات تلك الاتصالات سببا في ضياع العفة والعذرية والشرف لكل منهما .

إذن الأديان كلها لا تحجب الاختلاط أو لا تؤمن بضرورته ، فالأسر والقبائل والمجتمعات لابد لأفرادها من الاتصال وإنشاء علاقات إنسانية واقتصادية واجتماعية ودينية سواء ذكور أو إناث .

ولكن كل علاقة ـ وأى علاقة ـ لابد لها من ضوابط حتى تحقق الغرض منها والهدف المنشود من مزاولتها .

ـ فاليهودية أجازت الاختلاط لضرورة ، والخروج من البيت لأسباب العمل الاحتفال الدينى أو الزيارة ، ولكن مع صحبة من النساء، فها هى رفقة : « اسم فتاة» ابنة أخى إبراهيم ـ عليه السلام ـ تخرج لملء الجرار من البئر مع صديقاتها « . . وبنات أهل المدينة خارجات ليستقين الماء » [التكوين ٢٤ ـ ١٣] ، فقابلها رجل وقال لها « اسقينى قليل ماء من جَرَتِك (١٨) فقالت له اشرب يا سيدى» [تكوين٢٤ : ١٧ ـ ١٨] وهذا يوضح عمل المرأة فيما يناسبها ومع نساء مثلها والاختلاط مع الرجال لضرورة وفى حدود الأدب القويم والخلق

الرفيع ، وللمدة المناسبة لتحقيق الهدف من الاختلاط .

وها هى ابنة الملك يفتاح تخرج مع صويحباتها للقائه احتفالاً بنصره على الاعداء « فخرجت ابنته الوحيدة ، إذ لم يكن له ابن أو ابنة سواها للقائه بدفوف ورقص ، [القضاة ١١ : ٣٤] وكان الملك نذر أن يقدم محرقة « أى يضحى » بأول من يلقاه من أهل بيته ، فكان حظه التعس وحظها الأليم أن تكون أول من قابلته ، ومع ذلك قول الوفاء بنذره ، فقالت له : « أمهلنى شهرين أتجول فيها فى الجبال وأندب عذراوينى مع صاحباتى » [القضاة ١١ : ٣٧] .

ومن القصة يتبين أن خروج ابنة الملك للاحتفال بنصر ، وخروجها للبكاء والعويل على سوء حظها مع بنات مثلها .

والتوراة توضح لنا أن « دينا » اسم فتاة ابنة يعقوب ـ عليه السلام ـ خرجت لزيارة بعض صديقاتها ولأنها ظنت أن قوة وجاه وسلطان أبيها لن يعرضها للأذى « فتعرض لها سكيم بن حمور الحوى ، فأخذها واغتصبها ولوث شرفها » [تكوين ٣٤ : ٢] .

وهنا يتضح أنه لابد للنساء إذا خرجن وحيدات من رفيقة أو حماية فـ « دينا ابن نبى وصاحب غنى وسلطة ومع ذلك اغتصبت منذ عدة آلاف من السنين » حسب زعم التوراة .

هذا وقد أوضحت التوراة خروج المرأة للعمل دون اختلاط بالرجال فى أكثر من موضع منها ، خروج « راعوث » اسم امرأة للعمل بالحق

عندما ضاق بها الحال من بعد عز ، لتنفق على نفسها وعلى حماتها» [راعوث ٣] .

والمسيحية أيضًا آمنت بعدم الاختلاط إلا بشروط تؤدى إلى العفة واحترام المرأة لذاتها ، فها هو بولس الرسول يأمر النساء باحترام أنفسهن وعدم الكلام فى الكنيسة « ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئا فليسألن رجالهن فى البيت ، لأنه قبيح بالنساء أن يتكلمن فى الكنيسة » [١كورنثوس ١٤ : ٣٥] ، وقد استنكر الإنجيل عمل النساء بتعليم الرجال حتى لا يؤدى إلى اختلاط فقال بولس : « لست أسمح للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل » [١ تيموثاوس ٢ : ١٢] .

وكذلك رفض الإنجيل ذهاب الرجال « القسس » لتعليم النساء فى البيوت الأمور الدينية ، وجعلت ذلك للنساء مثلهن والإسلام كباقى الأديان نظم هذه العلاقة .

وقد يظن البعض أن الإسلام لا يبيح الاختلاط بين الذكور والإناث، والواقع أنه يبيحة وينظمه وقد وضع المنهج القويم لذلك ، حتى لا يؤدى الاختلاط إلى الخلوة وتغلب ضعف النفوس وشهوتها المستعرة ، إضافة إلى وسوسة الشيطان ، فى وقوع الفواحش الظاهرة والمستترة .

هذا وقد أباح الإسلام للمرأة المشاركة فى الأمور العامة وخروجها لإبداء الرأى فيها يهم المجتمع من أمور فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا

يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢] فالآية أعطت المرأة حق الانتخاب وإبداء الرأى ، ولقد كانت النساء يؤدين الصلاة فى المسجد مع جماعة المسلمين فى عهد الرسول ﷺ وبعده، ولكن يخرجن لصلاة العيدين ، والحج .

كما ثبت فى البخارى أن أم الدرداء عادت « زارت » رجلاً مريضًا من الأنصار فى المسجد ، كما أن الزيارات المنزلية لتوثيق العلاقات الاجتماعية لم يحرمها الإسلام ، فها هو سلمان الفارسى يزور أخاه أبا الدرداء فى بيته فيجد امرأته « مبتذلة » أى مرتدية ملابس عمل المنزل لا ملابس مقابلة الزوج » فقال لها : « ما شأنك ؟ قالت أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا » الحديث ورد بالبخارى ـ كتاب الأدب» . ولكن الإسلام وضع ضوابط لهذه الزيارات فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٧, ٢٨] .

والآية توضح الآداب التالية :

١ ـ لابد من الاستئذان وإلقاء السلام .

٢ ـ لابد من وجود رجال فى البيت حتى لا تتحقق الخلوة

الكاملة.

٣ ـ إذا لم يوجد رجال واعتذر النساء أو الموجودون فى البيت عن دخول الضيف فليرجع ، ذلك أفضل للجميع ولا يجب اعتبار ذلك مهانة له .

أما عن آداب الخلوة داخل البيوت فقال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١] والآية أوضحت من يدخلون البيت ويمكن أن يروا النساء فى أى وقت إذن الأديان كلها لم تمنع الاختلاط ولكن بضوابط حتى لا يتحول إلى انحلال خلقى وجنسى واجتماعى ودينى .

ومع ذلك فإن دعاة التحرر ينادون ملء الأفواه للاختلاط دون ضوابط سواء فى الصغر أو الكبر وفى كل مكان وكل مجال بالرغم مما تبين من ضرر الاختلاط .

فـها هو قـاسم أمين ينادى بالاخـتـلاط منكرا مضـاره فـيقـول : «والفقهاء من قـومنا الذين أطالوا الكلام فى شرح المضار التى تنتج عن إطلاق الحرية للنساء ! فكثيراً ما سـمعنا منهم أن اختلاط الرجال بالنساء يؤدى إلى اختلاط الأنساب ، وأنه متى اخـتلطت الأنساب وقعت الأمة فى هلاك »(١) .

وعن الدعوة لاخـتـلاط الصبـية من بنات وأولاد فى الصغـر تقول هدى شعراوى « ومن ثكره اخـتلاطى بالصبيان ولعبى مـعهم ، تطبعت بطباعهم وشـبيت عليها ، وهنا أقرر أن اختـلاط الجنسين منذ الصغر إن لم يكن له تأثير حسن فى تربية الأطفال ، فليس من ورائه الضرر الذى يحـدث من الاخـتلاط فى أدوار المراهقـة ومـا بعـدها ، لأن اختـلاط الأطفال يجعلهم يشبون على عدم الفوارق وتربطهم الصداقة البريئة ومن كثرة تعودهم بعضهم على بعض يصـبحون كأنهم أخوة . . . الاختلاط منذ الصغر وبين أولاد من طبـقه متساوية تربوا على أساس مـن الحشمة والاحترام ، فهو قليل الشوائب والأخطار »(٢) .

ونحن نشاركها الرأى فيما ذهبت إليه ، ولكن بشرط تفرغ الأمهات أو من يراقبـون هذا الاختـلاط ويصحـحون المفاهيـم أولاً بأول لهؤلاء

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة .

(٢) هدى شعراوى : مذكـرات رائدة المرأة العربية الحديثة ـ ص٦٤ كتـاب الهلال ـ العدد ٣٦٩ سبتمبر ١٩٨١ .

الأطفال والذى أوضحته هى نفسها فقالت عما لدى أسرتها من خدم وعبيد يرعون الأطفال ويراقبوهم « كانوا مدربين على العمل ، مخلصين فى آداء واجباتهم ، شاعرين بالمسؤولية على عواتقهم ، محترمين مخدوميهم .. محبين لصغار مخدوميهم الذين ولدوا على أيديهم . . . »[1] .

وتقول عن تربية « سعيد أغا » مملوك لديهم - لها ولأخيها ولبنات معهن ومراقبته لهن « ثم كنا نخرج مع « سعيد أغا » .. ثم يسرد علينا ما وصله من الشكاوى ضدنا ، وبعد ذلك يتلو الحكم على المذنب منا ثم يضربنا على كفوفنا حسب درجة الذنب ويتركنا نبكى ، وبعد ذلك يخرج مناديلنا من جيوبنا ويمسح لنا دموعنا ، ويقول : الآن وقد نال كل فيكم جزاءه ، حذار أن يعود لمثل ما فعل »[2] .

إذن الاختلاط فى الصغر له مزاياه التى لا ننكرها بشرط تفرغ الآباء والأمهات بصفة خاصة لمراقبة تصرفات الأولاد وتوجيههم أولاً بأول أو على الأقل خدم مخلصين .

واليوم لم يعد هناك تفرغ كامل من الأم - إلا ما ندر - لتربية الأولاد ، ولم يعد الأولاد يتلقون فى المدارس من تعاليم الدين ما يسمو بخلقهم ، ولم تعد مهمة الخدم تربية الأولاد على أسس أخلاقية

(١) المرجع السابق ص٥٦ ، ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٠ ، ٥١ .

سليمة، بل أصبحوا أهم أدوات لإفساد الأولاد ، كما أن انتشار التليفزيون والدش والإنترنت أدى إلى تسلل مفاهيم جنسية خاطئة ولم يأت أوانها للأطفال ، حتى إننا نرى ونسمع اليوم عن اغتصاب أطفال لأطفال وكبار لأطفال ؟!!

وبالرغم مما يعانيه المجتمع من الاختلاط فى سن المراهقة فإن دعاة التحرر يدعون إليه ، لأنه يحقق أمانيهم فى إشاعة الانحلال فتقول فريدة النقاش منتقده ، منع الاختلاط والتمس بآداب الدين : « وبدلاً من أن تصبح الجامعة كما كانت فى بدء نشأتها مصدر إشعاع لتنوير المجتمع كله وتكوين أجيال جديدة .. أصبحت ميدان حرب من أجل فرض التدين الشكلى وتغطية وجوه النساء ، وفصل الطالبات عن الطلاب، وإرغاب الجميع على الصلاة ، ووقف المحاضرات ساعة الأذان ، وبدلاً أن تتحول الجامعة على مر الزمن إلى مؤسسة لبناء العلاقات الجديدة القائمة على المساواة والتكامل والمودة والحب والفهم المتبادل بين الجنسين ، حلت فيها ثقافة الصمت فيما يخص العلاقة بين الجنسين التى وقعت فى أسر الحرام والحلال وتراجعت فيها روح الزمالة والمباراة الصحية بين البنات والأولاد » (١) .

وتسير على الدرب إقبال بركة فتقول : « إن ما يحدث اليوم فى بعض الكليات الجامعية دليل على النظرة المتدنية للمرأة ، وإلغاء لكل ما

---

(١) فريدة النقاش ، حدائق النساء ص٨٣ .

وهبهـا الله من ملكات العقل والـروح والضميـر ، واقتصـار النظر إلى جســدها فـقط ، وبالتـالى فـرض المظاهر والشكليـات دون اهتـمـام بالجوهر»[١].

لقد تجاوز الاختلاط مداه وزاد عن حـده فى الجامعات كلها وليس بعض الكليات ، وحيث إن الجامعات أصبحت بيوت أزياء لعرض جديد من موضات إباحيـة فاجرة ، وسفور مصحوب بـزينة شيطانية سافلة ، وتفننت الطالبات فى عرض الجمال وإظهار عُرى الأجساد ، والمبالغة فى التزين وإظهـار الجمال فـقد أصبـحن بارزات للعيون ،فطمع فـيهن كل راغب، وطمعوا هن أيضا فى التعبير عن كل شهوة والمباراة لا فى العلم ولكن فى الفوز بقلـوب الشباب ثم بقضـاء حاجتـهن الجنسية مـعهم ، فـالأنثى دائما للـرجل داعيـة وإن أنكرت « يتـمنعن وهن راغبـات» ، والرجال دائمًـا للنساء متبـعون وإن ظنوا أنهم الذئاب وكانت النتـيجة: الزنا السـرى المسمى خطأ بالزواج العـرفى ولذى شمل حوالى ٢٠٪ من الطلاب وسيزيد بواسطة مشرط الطبيب ، وكأمر واقع سيألفه المجتمع ، فـفى الغرب ألفـوا نظام الصـداقـة بين النسـاء والرجـال ولم يسـتنكروه «Boy friend» ونحـن سنألف الـزنا الســـرى ، وهو نفس نـظام الصداقة والعشق فى الغرب ، ولكن فى السر .

هذا بخـلاف الزنا بالتراضى بين الطلاب ، والدعـارة التى لا تنكر

---

(١) إقبال بركة : حوار حول قضايا إسلامية ص١٣٥

والمتشرة بين القليل من طالبات الجامعات ، اللواتى يحلمن بالمال والغالى من الثياب . . . إلخ إن دعاة التحرر دائمًا يكذبون ثم يصدقون أكاذيبهم فهم يدعون أن الرجال هم الذين ينظرون للنساء بشهوة ، مع العلم أن النساء هن الذين يغرون ويغوون الرجال ، وصدق الرسول ﷺ حيث قال : « ما تركت بعدى فتنة أشد على الرجال من له وإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء» (١) .

إن لدعاة التحرر أهداف وضيعة يبغونها من الاختلاط فيها :

أ ـ الاستمتاع غير المشروع بالجنس :

وهو ما نعانى منه اليوم ومن ويلاته من المطالبة بالإجهاض والاعتراف بالأبناء المولودين من سفاح ، والمطالبة بإعطاء اسم الأم وعائلتها للمولود الذى لا أب معروف له ثم الدعوة لإطلاق حرية الجنس عن طريق الدعوة لنبذ وهجر مقاييس العفة والشرف وعذرية الفتاة.

وإذا لم يرحمنا الله أتنبأ خلال سنوات من ١٠ ـ ٢٠ سنة إن شاء الهل بذهاب مقاييس العفة والشرف والعذرية إلى غير رجعة وصدق تعالى حيث قال عن هؤلاء ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩] .

---

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم .

ب ـ إماتة النخوة والحمية فى النفوس الشريفة :

إن الاعتياد على أى مرض اجتماعى لغالبية كبيرة من المجتمع وطول بقائه ينشىء الشعور بالإيمان بالواقع وبالتالى غض الطرف عن مقاومة هذا المرض ، ففى القديم عبث يهودى بحجاب مسلمة ، فتحركت النخوة فى قلوب المسلمين ، فكانت الحرب وإجلاء كل اليهود «بنو قينقاع» من المدينة المنورة ، وبعدها نادت امرأة وامعتصماه فينجدها بجيش جرار ويفتح عمورية .

واليوم يعتدى على شرف بناتنا باسم الزواج العرفى فى جامعاتنا ومدارسنا الثانوية والإعدادية ، فقد جاء بالمصور :

* رغم نفى جميع المسؤولين التنفيذيين والقضائيين والشعبيين أن الشائعات التى انطلقت فى أعقاب حادثة مقتل أحد تلاميذ مدرسة سمنود الثانوية الفنية ما زالت تملأ المدينة وتتحدث عن وجود حالات زواج عرفى بين طلاب وطالبات المدرسة وحالات حمل (١) .

كما يعتدى على املسلمات فى كل بقاع الدنيا فينتهك عرضهن ويغتصبن ويدفن فى مقابر جماعية ولا مدافع عنهن .

جـ ـ الاستهانة بالقيم الدينية والأخلاقية وضياع مفاهيم الأخلاق الكريمة :

نحن نتساءل : هل يطلب المجتمع من شاب وشابة استهترا بشرع

---

(١) مجلة المصور العدد ٤٠١٢ فى ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٣م .

الله فى الزواج الشرعى السليم وباعا أنفسهما إلى الشيطان فزاولا الجنس تحت شعار « الزواج السرى » وهم يعلمون أنه زنا صريح واضح، أن يكون أمناء فى عمل أو على مال أو على سر قومى أو فى حرب أو قتال؟ أو حتى وظيفة ؟!! إن فاقد الشىء لا يعطيه.

د ـ انعدام الثقة بالنساء والعزوف عن الزواج :

النتيجة الطبيعية لتفشى الجنس بأمراضه الخلقية والاجتماعية والصحية ، هى عزوف الرجال عن الزواج لفقدهم الثقة بالنساء، وهذا يعد من أسباب ارتفاع سن الزواج وتقليل نسبته عامًا بعد عام .

هـ ـ انتشار الفوضى الجنسية وأمراضها :

« ونتيجة لشيوع الإباحية الجنسية انتشرت الأمراض الجنسية فقد بلغت نسبة المصابين بالزهرى من شباب أمريكا ٩٠٪ والمصابين بالسيلان ٦٠٪ والمصابين بالبرود الجنسى ٤٠٪ حسبما ورد فى دائرة المعارف البريطانية . كما ظهرت أمراض لم نسمع بها من قبل كمرض الإيدز (فقدان المناعة) وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا » رواه ابن ماجه »[١] .

وما ذكرناه قطره من غيث ، وقد آمن الغرب بمنع الاختلاط .

« صرح كينت بيكر وزير التعليم البريطانى أن بلاده بصدد اعادة

(١) إلى غير المحجبات ص١٦ .

النظر فى التعليم المختلط بعد أن ثبت فشله . وقال أحد أعضاء لجنة التعليم بالبرلمان الألمانى (البوند ستاج) أنه يجب العودة للأخذ بنظام التعليم المنفصل (الجنس الواحد) وهو النظام الذى تأخذ به الدول الإسلامية.

أكدت دراسة أجرتها النقابة القومية للمدرسين البريطانيين أن التعليم المختلط أدى إلى انتشار ظاهرة التلميذات الحوامل سفاحًا وعمرهن أقل من ١٦ سنة كما تبين أن استخدام الفتيات لحبوب منع الحمل فى المدارس تتزايد كمحاولة للحد من هذه الظاهرة دون علاجها واستئصالها من جذورها (١) .

وفي أمريكا بدأت مدرسة مارينا فى سان فرانسيسكو مع بدء العام الدارسى هذا العام بتطبيق تجربة رائدة للفصل بين الإناث والذكور أملاً فى تحسين مستوى التحصيل الدراسى . .

وتندرج هذه التجربة فى إطار برنامج بدأ تطبيقه فى خمس مدارس حكومية فى كاليفورنيا ويؤكد المدافعون عنه أنه يتيح تحقيق نتائج دراسية جيدة(٢) .

فهل لنا أن نرجع إلى ديننا وآدابه حتى نحافظ على العذرية والشرف والعفة ، وحتى لا تضيع آداب العفة .

---

(١) إلى غير المحجبات ص٧ .

(٢) مجلة منار الإسلام ـ مارس ١٩٩٨ .

المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ التوراة .

٣ ـ الإنجيل .

٤ ـ إقبال بركة : حوار حول قضايا إسلامية .

٥ ـ الشيخ جاد الحق على جاد الحق : بيان للناس من الأزهر الشريف ، مطابع وزارة الأوقاف بمصر.

٦ ـ الرازى: مختار الصحاح : دار المعارف : ١٩٩٠.

٧ ـ روجيه جارودى : محاكمة جارودى . مكتبة الشروق الدولية.

ـ الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، دار الشروق الدولية .

٨ ـ زكى على السيد أبو غضة : تحرير المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر .

ـ الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة .

ـ المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام .

٩ ـ د. سامية الساعاتى : علم اجتماع المرأة .

١٠ ـ فريدة النقاش : حدائق النساء فى نقد الأصولية ، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ، ٢٠٠٢ م .

١١ ـ قاسم أمين : تحرير المرأة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٢ ـ محمد رشيد رضا : حقوق النساء فى الإسلام ، هدية مجلة

الأزهر ، جمادى الآخرة ، ١٤٢٤هـ .

١٣ ـ محمد سعيد مبيض : إلى غير المحجبات ، دار الثقافة بالدوحة الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م .

١٤ ــ محمد الغزالى : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ، مكتبة الأسرة ، ١٩٩٩م .

١٥ ـ نوال السعداوى : قضايا المرأة والفكر والسياسة ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ـ توأم السلطة والجنس ، دار المستقبل العربى، ١٩٩٩م.

١٦ ـ هدى شعراوى : مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة ، كتاب الهلال ، العدد (٣٦٩) سبتمبر ١٩٨١م.

١٧ ـ د . يوسف القرضاوى : النقاب للمرأة بين القول ببدعيته والقول بوجوبه ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

ـ التطرف العلمانى فى مواجهة الإسلام ، أندلسية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .

المجلات والدوريات والجرائد :

مجلة الأزهر ، جريدة الوفد ، جريدة الأهرام ، جريدة الأخبار، مجلة التوحيد ، مجلة منار الإسلام ، مجلة المصور .

الفهرس

الموضوع الصفحة